الرهائنُ في جيشِ فتحِ الأندلس:

يذكرُ ابنُ عذاري (ت ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م) صراحةً: " أنَ طارقَ بنَ زياد جازَ إلى الأندلسَ برهائنِ البربرِ سنة (٩٢هـ/٧١٠م) "[١]، ويذكرُ في موضع آخر أنَّ موسى بنَ نصير تركَ عندَ طارق بن زياد رهائنَ برابرةِ المغربِ في سنةِ (٨٦ هـ/٧٠٥م) وأنَّ طارق جازَ بهمْ إلى الأندلسِ [٢]، ويؤيدُه فيما ذهبَ إليهِ عبيدَ اللهِ بن صالح [٣] الذي يقدم معلومةً أكثرَ تفصيلاً حيثُ يذكرُ قائلاً: " وبرهائنِ الصامدةِ جازَ طارقُ بن زياد إلى جزيرةِ الأندلس" [٤].

فما سيرة هؤلاءِ الرهائنِ؟ هل كانوا رهائنَ حروبٍ ومعاهداتٍ أخذوا كراهية أم رهائنَ طوعيين؟ هل كانوا منْ أبناءِ رؤساءِ قبائلِ البربرِ أم من العوام؟ ولماذا أشركهم المسلمون في فتحِ الأندلسِ؟ ألم يخشَ المسلمون خيانتَهم! أم أراد المسلمون جعلهم دروعاً بشريةً للجيشِ الفاتحِ؟ أمْ أنهمِ أسلموا وحسن إسلامُهم عندما ظللت رايةَ الإسلامِ ربوع المغرب واستقر

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص ٤٣، ج٢، ص ٥؛ عبيد الله بن صالح: فتح العرب للمغرب، مج٢، ص٢٢٤.
(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٥.
(٣) عبيد الله بن صالح: عبيد الله بن صالح بن عبد الحليم، وهو ابن أبي على صالح الذي اعتمد عليه ابن عذارى، ومن الممكن أن يكون عبيد هذا قد قام بتسجيل المعلومات التي سمعها من أبيه، وعلى أية حال فإن عبيد الله بن صالح قد كان معاصرا لابن عذاري الذي توفي حوالي (٦٩٥هـ /١٢٩٥م)، وتتناول رواية عبيد الله عن فتح إفريقية الفترة بين سنتي (٢٧-٩٢هـ/ ٦٤٧-٧١١م). عبيد الله بن صالح: فتح العرب للمغرب، مج٢، ص٢٠٢؛ أعلام الأعلام: الزركلي، ج٧، ص٩٥.
(٤) عبيد الله بن صالح: فتح العرب للمغرب، مج٢، ص٢٢٤.

الإسلامُ في قلوبهمْ؟ أسئلةٌ عديدةٌ وكثيرةٌ تُطل برأسها لمورد هذا الخبر، وذلك من مدي صحةِ هذا الخبر ودقتهِ ومقصده، وما التفسيرُ الصحيحُ لوجودِ هؤلاءِ الرهائنِ في جيشِ الفتح؟

ويؤكدُ على ذلك قولُ الرقيقِ القيرواني (٤٢٥هـ/١٠٣٤م) (٥) "أن موسى بنُ نصير استعمل على طنجة طارقُ بنُ زياد مولاه، وتركه في سبعةٍ وعشرينَ رجلاً منْ العربِ، واثني عشر ألف فارساً وكانوا قد دخلوا الإسلامَ وحسنُ إسلامهم، وأمر موسى بنُ نصير العربَ السبعة والعشرين الذين تركهم عند طارق بن زياد أن يعلموا البربرَ القرآن وأن يفقهوهم في الدينِ"(٦).

كما يذكرُ ابن خلدون (ت٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥م) أنَّ موسى بنُ نصير أخذَ رهائنَ المصامدةِ وأنزلهم بطنجة وذلك سنة (٨٨هـ/٧٠٦م) وولى عليها طارقُ بن زياد الليثي ثمَّ أجازَ طارقُ إلى الأندلس(٧) وورد الخبر كذلك في كتاب الإستقصا: "غزا موسى بنُ نصير طنجة وافتتحَ درعه وصحراء تافيلالت وأرسلَ ابنه إلى السوس فأذعن البربرُ لسلطانهِ وأخذَ رهائن من المصامدةِ فأنزلهم بطنجة وذلكَ سنة (٨٨هـ/٧٠٦م) وولى عليها طارقُ بنُ زيادٍ الليثي وأنزل معه سبعةً وعشرينَ ألفاً منِ العربِ واثني عشر ألفاً من البربرِ وأمرهُم أن يعلموا البربرَ القرآن والفقه قال ثم أسلم بقيةِ البربرِ على يد إسماعيل بنِ عبيد الله بن أبي المهاجر سنة

(٥) الرقيق القيرواني: هو إبراهيم بن القاسم، أبو إسحاق، المعروف بالرقيق أو ابن الرقيق، مؤرخ أديب من أهل القيروان، كان يلي كتابة الحضرة في الدولة الصنهاجية، واستمر فيها زهاء نصف قرن، ورحل إلى مصر سنة (٣٨٨هـ / ٩٩٨م) يحمل هدية من باديس ابن زيري إلى الحاكم، وعاد إلى وطنه فتوفي فيه على الأرجح، وصفه ابن رشيق (صاحب العمدة) بأنه: شاعر سهل الكلام محكمه، لطيف الطبع، غلب عليه اسم الكتابة وعلم التاريخ وتأليف الأخبار وهو بذلك أحكم الناس، وقال ابن خلدون (في المقدمة): ابن الرقيق، مؤرخ إفريقية والدول التي كانت بالقيروان ولم يأت من بعده إلا مقلد، ونعته ياقوت (في معجم الأدباء) بالكاتب وأورد أسماء كتبه منها: (تاريخ إفريقية والمغرب) عدة مجلدات، و(كتاب النساء) و(نظم السلوك في مسامرة الملوك)، وله (قطب السرور في وصف الأنبذة والخمور)، توفي نحو (٤٢٥هـ / ١٠٣٤م). الأعلام: الزركلي، ج١، ص ٥٧.

(٦) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق محمد زينهم، دار الفرجاني، القاهرة١٩٩٤، ص ٥٢.

(٧) ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٨٨.

(١٠١هـ/٧١٩م) خلال عهد الخليفةِ عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م)[٨].

ويسوقُ لنا ابنُ عذاري خبرَ هؤلاء الرهائن قائلاً: " إن موسى بن نصير (٧٨ -٩٥هـ/ ٦٩٧- ٧١٥م) في أثناءِ سيرِهِ لفتحِ بلادِ المغربِ نجدُ أنه أغارَ على قبائلِ هوارة وزناته وكتامة وقتلهم وسباهم، فقدمت قبيلة كتامة على موسى بن نصير فولى عليهم رجلاً منهمْ، وأخذ منهم رهائن مِنْ خيارهْم"[٩]، وذكرَ ابنُ عذاري كذلكَ: "أن موسى بنُ نصير بعث إثر بيعته للوليد، في هذهِ السنةِ المؤرخةِ، زرعةَ بن أبي مدرك[١٠] إلى قبائلِ البربر، فلم يلقَ حرباً منهم، فرغبوا في الصلح منه، فوجهَ رؤساءهم إلى موسى بنُ نصير، فقبض رهونهم، فأخذ رهائن من كتامة وزناتة وهوارة، وحمل إليه أبو مدرك زرعة بن أبي مدرك رهائن المصامدة فجمعهم موسى معَ رهائن البربرِ الذين أخذَهم من إفريقية والمغرب، وجمعهم مع رهائن حسان في طنجة، وجعلَ عليهمْ مولاهُ طارقاً، ودخلَ بهمْ الأندلسَ، وتركض موسى بن نصير سبعة عشرة رجلا من العرب يعلمونهم القران وشرائع الإسلام"[١١] وفي روايةِ الرقيق القيرواني أنه ترك عليهم سبعة وعشرين رجلاً من العربِ ليعلموهم أمورَ الدين[١٢].

وفي سنة (٩٢هـ/٧١١م) جازَ طارقُ إلى الأندلسِ وأفتتحها بمنْ كانَ معه من العربِ والبربرِ ورهائنهم الذين تركهم موسى عنده والذين أخذهم حسانُ من المغربِ الأوسط

(٨) السلاوي: الإستقصا، ج١، ص ١٥٢.
(٩) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ٤١.
(١٠) زرعة بن أبي مدرك: ولاه موسى بن نصير على قبيلة مصمودة عندما عقد الصلح مع موسى وحمل له رهائن المصامدة وأشترك مدرك في فتح الأندلس، ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص ٤٢.
(١١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص ٤٢؛ عبيد الله بن صالح : فتح العرب للمغرب، مج٢، ص٢٢٤.
(١٢) الرقيق: تاريخ إفريقية والمغرب، ص ٥١.

قبلهُ[١٣] ونستدلُ منِ النصوصِ السابقةِ أن هؤلاءِ الرهائنِ كانوا مِنْ قبائلِ البربرِ منِ المغربِ وخاصةً من قبائلِ كتامة وقبائل المصامدة، وأنَّ هؤلاء الرهائن كانوا من خيار هذه القبائل، فالرهائن قَدْ أخذوا ضماناً لاحترامِ العهودِ والمواثيقِ[١٤] وأن سياسةَ (حسان بن النعمان وموسي بن نصير) في أخذ الرهائن من هذه القبائل مشروطةً على أن يكونوا من خيارهم وذلكَ لتعليمهمْ الإسلام وحتى يتمكنُ الإسلامُ مِنْ قلوبهمْ بتلقيهِ من التابعينَ الذين اشتركوا في فتح الأندلس[١٥]، ويؤكد ذلك النصوص السابقة أن عدد الرهائن الذين جاز بهم طارق بن زياد للأندلس كان عددهم كبيراً بدليل أن موسى بن نصير جعلَ سبعة عشرة رجلاً من العرب يعلمونهمْ القرآنَ وشرائعَ الإسلامِ[١٦].

الدليلُ الثاني: أن موسى بنَ نصير تركَ عند طَارق بن زِياد في طنجةَ رهائن البربر الذيَن أخذهمْ من القبائل ومعهمْ الرهائنَ الذين أخذهمَ حسانُ بن النعمان قبله (٨٣هـ/ ٧٠٢م) ولكننا سرعانَ ما نجدُ أنفسنَا أمام سؤالٍ يطرحُ نفسهُ وهو كم عددُ الرهائن الذينَ أخذهمْ حسان بن النعمان من برابرةِ المغربِ؟ يذكر ذلك ابن عذارى: أن حسان بن النعمان بعد انتصارهِ على الكاهنةِ (٨٣هـ/٧٠٢م) في معركةِ بئرِ الكاهنة "جاءهُ جماعةٌ من البربرِ استأمنوا إليه، فلم يقبل أمانُهم إلا أن يعطوه إثني عشر ألفاً يجاهدون مع العربِ، فأجابوه وأسلموا على يديهِ، فعقد لولدي الكاهنةِ، لكل واحد منهما على ستة آلافِ فارسٍ، وأخرجهم مع العربِ يجولون في المغربِ يقاتلونَ الرومَ ومن كفر من البربرِ، وأنصرف حسان إلى مدينةِ

(١٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص ٤٢.
(١٤) الحريرى: الدولة الرستمية، ص ٤١.
(١٥) لقد إشتملت القوة الأولى التي فتحت الأندلس على مجموعة من التابعين وصل عددهم إلى ثمانية وعشرين رجلا لمزيد من التفاصيل أنظر: الحميدى: جذوة المقتبس، ص٦؛ الضبى: بغية الملتمس، ج١، ص٣٠ ، ٣١؛ ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص٢٨٣؛ المراكشى: المعجب، ج١، ص١٤؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ٩٧؛ المقرى: نفح الطيب، ج١، ص٢٨٨.
(١٦) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص ٢٠١، ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص ٤٢.

القيروان بعد أن حَسُنُ إسلامُ البربرِ، وذلك في شهرِ رمضان سنة (٨٢هـ/٧٠١م) حيثُ استقامتْ بلادُ إفريقية لحسان، فدَّونَ الدواوينَ، وصالحَ على الخراجِ[١٧].

يتضحُ أن حسانَ بن النعمان أخذ اثنتي عشرةٍ ألفا رهينةَ لينشر في صفوفهم الدينَ الإسلامي ويدعم بهم الجيش لتحقيقِ الانتصارات كما ساهم هؤلاءِ الرهائنِ في نشرِ الإسلامِ بين ذويهم فيما بعد، وشاركوا في الفتوحاتِ ونالوا نصيبَهم مِن الغنائمِ ومن الأراضي وارتقي العديدُ منهم في الرتبِ العسكريةِ، وهذا دليلٌ على تعاملِ القادة مع السكان الأصليينَ حيثُ أن المسلمينَ أرادوا نشرَ كلمة التوحيدِ ورفعَ رايةِ الإسلامِ إلى أبعدِ ما تسمحُ به الظروفُ والإمكانيات المتاحةِ.

تولي طارقُ بنُ زياد على طنجة سنةِ (٨٥هـ/٧٠٤م) وكانت بداية فتح الأندلس [١٨] في (الخامس من رجب سنة ٩٢هـ/٢٧ أبريل سنة٧١١م) فنستدلُ من ذلك أن الإسلامَ قد استقرَ في قلوبِ البربرِ بسببِ سياسةِ حسان بن النعمان القائمة على دمجِ البربرِ مع المسلمينَ بأخذه للرهائن، وسياسة موسى بنِ نصير القائمةِ على تمزيق أي ثورةٍ يقومُ بها البربر بيدٍ مِنْ حديدٍ والإعلاء من شأنِ قادتهم وتوليتهم المناصب والقيادة [١٩]

كانتْ رهائنُ حسان بن النعمان قد مرَ على أخذهم عشر سنواتٍ وهمْ في معاركَ حربٍ مستمرةٍ في المغربِ ضَد الروم ومن كفرَ من البربر، وهم بذلك طيلة العشرِ سنواتِ

(١٧) الرقيق القيروانى: تاريخ إفريقية والمغرب، ص٤٤٩؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص٣٨؛ السلاوى: الإستقصا، ج١، ص١٥٠.

(١٨) خريطة فتح الأندلس، انظر ملاحق الرسالة، ص ٣٣٢.

(١٩) نجد أن موسى بن نصير أسند العديد من الأمور الكبيرة لقادة من البربر وذلك لثقته الزائدة في تمكن الإسلام من قلوبهم وثقته في مواهبهم، حيث أنه جعل طريف بن مالك على رأس الجيش الذي قام باستكشاف الأندلس وجعل طارق بن زياد حاكما على مدينة طنجة وما يليها وهي يومئذ أخطر بقاع المغرب الأقصى وأشدها اضطرابا وجعله كذلك على رأس جيش الفتح وهم من البربر. عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٤٠، ٤١؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٢٣.

قد تشربوا تعاليم الدين الإسلامي، واكتسبوا العديد من المهارات التي تؤهلهم لأن يكونوا قادة فتح الأندلسِ فيما بعد.

حرصُ حسانُ بنُ النعمان وموسي بنُ نصير على تعليمِ هؤلاءِ الرهائن أمرَ الدينِ الإسلامي، والدليل على ذلكَ هو أنَّ حسان بن النعمانِ خصّصَ ثلاثةَ عشرَ فقيهاً من التابعينِ لتعليم البربرِ اللغةَ العربيةَ والفقهَ ومبادئَ الإسلام(٢٠)، وكذلك موسى بن نصير الذي جعلَ على رهائنِ البربرِ في مدينة طنجةِ سبعةَ عشرَ فقيهاً من التابعين لتعليمهمْ القرآنَ وشرائعَ الإسلامِ (٢١)، و بذلك يضمنوا إسلام هذه القبائلِ البربريةِ الكبيرة واستقرار الإسلامِ في قلوبهمِ بإسلام رؤسائهم، فتلقي الرهائنُ البربرُ من المسلمينَ معاملةً حسنة بدليلِ أنهم أسلموا وحسنَ إسلامهم واشتركوا في جيشِ فتحِ الأندلسِ.

وقد أشرك العرب رهائنُ البربرِ في جيشِ الفتح لثقتهم الكاملة في إسلامهم وتمكنَ الدينُ من قلوبهمِ، ولم يكنْ غرض المسلمينَ أن يجعلوا رهائنَ البربر دروعاً بشريةً لفتحِ الأندلسِ أو يستعينوا بهم في القتال والأدلةُ على ذلك كثيرةٌ أولاً أن المسلمينُ لا يستعينون بالمشركين في الجهادِ في سبيل اللهِ إلا في ظروفٍ ضيقةٍ (٢٢).

ثانياً: يكفي الحماسُ الشديدُ للجيشِ الفاتحِ للأندلسِ، وما حققوه من نتائج تعكسُ حسن معاملة المسلمينَ لهمْ وتوضحُ جلياً مدي النجاح الذي وصلَ إليه علماءُ المسلمينُ في شحنِ معنوياتِ البربرِ (الرهائن والجنود) الذينَ أسلموا فأصبحوا حاملينَ لواء الإسلامِ في ميادينِ

(٢٠) الصلابي: الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار، ج٢، ص١٨.
(٢١) الرقيق القيروانى: تاريخ إفريقية والمغرب، ص٤٤٩؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص٤٢؛ السلاوى: الإستقصا، ج١، ص١٥٠.
(٢٢) أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي: البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، ط ٢، تحقيق محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان ١٩٨٨م، ج١٧، ص ٢٥٩.

الجهادِ في إسبانيا وفرنسا، والشواهد على ذلك كثيرة منها: اشتراكُ زرعة بن أبي مدرك الذي ولاه موسى بن نصير على قبيلة مصمودة البربرية في فتح الأندلس (٢٣)

ثالثاً: أنَّ البربر الذين اشتركوا في فتح الأندلسِ حصلوا على نصيبهم مِنْ غنائمِ الفتح مثلهم مثل العربِ تماماً.

وكذلك أنَّ هؤلاءِ الرهائن كانَ لهُم على تواجدٌ واضحٌ على المستوي العسكري والاجتماعي والسياسي، فالعسكري جوازهم مع طارق بن زياد لفتح الأندلسِ سنة (٩٢هـ/٧١٠م) (٢٤) وعلى المستوي الاجتماعي نجد أن هؤلاءِ الرهائن عملوا على نشرِ الدينِ الإسلامي بالأندلسِ(٢٥) لأنهم احتكوا بالعربِ احتكاكاً مباشراً وتلقوا تعاليمَ الدينِ الإسلامي من التابعينَ، والسياسي: ظهورهم على ساحةِ الأحداث السياسيةِ في الأندلس.

ونلاحظُ أن الغرضَ مِنْ أخذِ رهائنِ البربرِ اختلفَ مِنْ قائدٍ لآخر في فتح بلادِ المغربِ، وذلك بعد الغرض الأساسي وهو نشرُ الإسلامِ، فكانَ مقصدُ حسان بن النعمان هو نشرُ الإسلامِ بين خيار وقادة البربر ومن ثم تتبعهم قبائلهم، وكان غرضُ موسى بنُ نصير هو ضمانُ الولاءِ وإحكامُ السيطرةِ العسكريةِ، وضمانُ عدمِ حدوثِ تحالفاتٍ بين رؤساءِ قبائلِ البربر والبيزنطيين.

(٢٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص ٤٢؛ الصلابي: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ج١، ص٣٧٨.
(٢٤) ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص ٤٣، ج٢، ص ٥.
(٢٥) لقد نزل البربر في مناطق متفرّقة من الأندلس، أو في بعض الهضاب حسبما راق لهم ذلك، واستطاع كل من العرب والبربر الامتزاج بأهالي البلاد الأصليين وارتبطوا معهم برباط الزواج، وكان للبربر خاصة أثر عظيم في انتشار الإسلام في الأندلس بسبب قرب مزاجهم وطباعهم من أولئك السكان، هذا إلى أن البربر بسبب حداثة عهدهم بالإسلام كانوا شديدي الحماسة للدين الجديد لأنه صار رمز سيادتهم وعزّهم، وحرص موسى بن نصير على ترك حاميات من جيشه في المدن التي فتحها، وهذا هو الأمر الذي جعل معظم أرجاء أسبانيا تعمر بالفاتحين الجدد وتمهد أسبانيا في سرعة ويسر لاعتناق الدين الإسلامي الحنيف. حسين مؤنس: فتح الأندلس، ص ٤٣٢، ٤٣٣؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم، ص ٤٢٣؛ محمود خطاب: قادة فتح الأندلس، ج١، ص ٢٦٣.

وعندما أدركَ البربرُ جوهرَ الرسالةِ الساميةِ التي يحملها العرب، وأنهم لم يأتوا منْ أجل مغنمٍ أو كسبٍ مادي، تعاونوا معهم وامتزجوا بهم، ووحدَ الإسلامُ بينهم، فأصبحوا قوةً كبيرةً في المنطقةِ، واعتمدَ العربُ على البربرِ اعتماداً كبيراً، لا سيما في عهد موسى بنِ نصير حيثُ عهد إلى زعماء من البربر بقيادة الجيوشِ الإسلامية التي استمرتْ تؤدي رسالتها في استكمالِ تحريرِ شمالِ أفريقيا، وبفضل هذا التعاون الفعال استطاعَ العربُ والبربر أن يحققوا فتحَ إسبانيا (٢٦).

وهذا يوضحُ أن أخذَ الرهائن كان خطةً في غايةِ الذكاءِ من المسلمينَ، حيثُ أنهم أخذوا خيار القبائلِ رهائن ليس بغرضِ الاحتجازِ ولكن لغرض سامٍ ونبيلٍ للغايةِ وهو تعليمهم الدينَ الإسلامي وجعلهم جنوداً لرفعِ رايةِ الإسلامِ، فباتخاذهم رهائن ضمن المسلمون ولاء القبائلِ البربريةِ ودخول أهلها الإسلام أسوة بقادتهم من ناحيةٍ ومن ناحيةٍ أخرى ضمنوا الإسلام الصحيح لقادتهم الذين اشتركوا في الفتوحات الإسلامية عن حبٍ وحماسٍ شديدٍ للدينِ الإسلامي، وكان لهم نصيبٌ من الغنائمِ (٢٧).

وسياسةُ أخذِ الرهائن التي ابتدعها حسان بنُ النعمان وتوسعَ فيها موسى بن نصير قد أدتِ إلى نموِ حركةِ التعريبِ وانتشارِ الإسلامِ وأُقرتْ الأوضاعُ نهائياً لصالح المسلمينُ في بلادِ المغربِ (٢٨)، وتتفق الرواياتُ على أن الجنودَ الذينَ جازَ بهم طارق بن زياد للأندلسِ هم رهائنُ البربرِ.

(٢٦) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم، ص ٢٣؛ محمود خطاب: قادة فتح الأندلس، ج١، ص ٦٩.
(٢٧) ابن الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص ٢٠١ ؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٤٢.
(٢٨) الحريرى: الدولة الرستمية، ص ٤٦.

وقبلَ الإقْدامِ على فتحِ الأندلسِ طلبَ الوليدُ بنُ عبد الملك من عامله موسى بن نصير أن يختبرها

بالسرايا [٢٩]، فأرسل موسى بن نصير أحد مواليه ويدعي طريف بن مالك المعافري[٣٠]، وهو من البربر في سريةٍ صغيرةٍ مؤلفةٍ منْ أربعمائة راجل ومائة فارس وذلك في (رمضان سنة٩١هـ/ يوليه سنة٧١٠ م)[٣١] وعادت سريةُ طريف محملةً بالغنائمِ مما شجع الناس على دخولِ إسبانيا[٣٢]، وأخبر يليان موسى بن نصير بما كان منه ومن طريف وما نالوه من أهلها وباشروه من طيبها فحمد الله على ذلك، واستجد عازماً في إقحامِ المسلمينَ فيها فدعا مولي له يسمي طارق بن زياد بن عبد الله فعقد له موسى وبعثه في جيش من إثني عشر ألف مقاتل: عشرة آلاف من البربرِ وألفين من العربِ وسبعمائة من السودان[٣٣] وأرسل معه يوليان وأتباعه ليدله على عوراتِ البلاد[٣٤]، ونزل طارق على البقعةِ الصخرية المقابلةِ التي مازالت تحمل اسمه إلى اليوم وذلكَ يومُ (الاثنين الخامس من رجب سنة٩٢هـ/٢٧ من أبريل سنة٧١١م)[٣٥] واستولى على الجزيرةِ الخضراءِ وهي أول مدينةٍ

(٢٩) مجهول: أخبار مجموعة، ص٥، ٦ ؛ ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص٤٥؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٥.
(٣٠) طريف بن مالك المعافري: يكني أبو زرعة، وهو مسلم من البربر وهو مولي موسى بن نصير بعثه طارق بن زياد على رأس سرية صغيرة فأغار بها على جزيرة صغيرة قرب جبل طارق تسمي جزيرة لأس بالوماس بإسمه فيما بعد. مجهول: أخبار مجموعة، ص ٦؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ص٥؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص١٥٠.
(٣١) النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٢٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٤٠.
(٣٢) ابن الإثير: الكامل، ج٤، ص ٥٦١ ؛ النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٤٥؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ٣٥.
(٣٣) مؤلف مجهول: ذكر بلاد الأندلس، تحقيق مولينا، طبعة مدريد ١٩٨٣م، ص ٩٨، ص ٦ ؛ ابن الجوزى: المنتظم، دار صادر- بيروت ١٩٢٩، ج١، ٣٥٣ ؛ المقرى: نفح الطيب، ج١، ص ٢٥٤؛ حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، هامش ص ٣.
(٣٤) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٢٠٥ ؛ ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص٢٦٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٤١.
(٣٥) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص٥٦١، ٥٦٢ ؛ النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤، ص٤٦؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص ٣٢٠؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٤١.

يتُم افتتاحها[٣٦] وأنتصرَ طارق بن زياد على جيشِ القوط [٣٧] في معركة وادي لكة قرب بلدة شريش[٣٨] سنة (٩٢هـ/٧١٢م)، وأن المعركة تشعبت في عدة مناطق من كورة شذونة[٣٩]، ودامت المعركة ثمانية أيام وأنتصر المسلمون في نهايتها حتى قيل أن لذريق مات غريقاً أو قيل إنه اختفي ولم يُعثر له على أثرٍ[٤٠].

استمرَ طارقُ بن زيادٍ في فتحِ الأندلسِ، حتى أتاه كتاب موسى بن نصير يطلبُ منه أن يتوقفَ عن الفتحِ وينتظره في المكانِ الذي يصله فيه هذا الكتاب، وكان ذلكَ في سنة (٩٣هـ/٧١١م)[٤١] وعبر موسى بن نصير البحر إلى إسبانيا في عشرة آلافٍ من العربِ وثمانيةِ آلافٍ من البربر، ونزل بولايةِ الجزيرةِ وذلك في (رمضان سنة٩٣هـ/ يونيه٧١٢م)[٤٢]، وسلك طريقاً غير الذي سلكه طارقُ بن زياد[٤٣] وتابع فتوحاته والتقي بطارق في مدينة طليطلة وتابعا الفتوحات إلى أن وصل أمر الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦ هـ/ ٧٠٥-٧١٤م) بالعودة إلى دمشق[٤٤]، فتمهل موسى في العودة حتى يتم

(٣٦) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ٢٠٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٤١.

(٣٧) القوط: إحدى الجمعات الجرمانية وأكثرهم عددا، جاءوا من إسكندیناوة، وذلك في القرن الرابع قبل الميلاد، انقسموا إلى قسمين، القوط الشرقيون واستقروا في سهول روسيا، والغربيون استقروا في أقاليم الدول الرومانية والبلقان؛ إبراهيم على طرخان: دولة القوط الغربيين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٨، ص ٣٢.

(٣٨) شريش: من كور شذونة بالأندلس، بينها وبين قلشانة خمسة وعشرون ميلاً، وهي تقع عند مصب نهر الوادي الكبير في البحر المتوسط، وشريش متوسطة حصينة حسنة الجهات. الحميري: الروض المعطار، ص٣٤٠.

(٣٩) شذونة: هي كورة متصلة بكورة مورور، تقع في أقصى الجنوب الأسباني بين جبل طارق ومدينة قادس؛ وعندها وقعت الوقعة الحاسمة التي انتصر فيها طارق بن زياد على (لذريق) ملك القوط سنة (٩٢هـ/٧١١م)، وهي من الكور المجندة، نزلها جند فلسطين من العرب، وقد لجأ إليها عامة أهل الأندلس سنة (١٣٦هـ/٧٥٣م)؛ وكانت الأندلس قد قحطت ستة أعوام، ومن كور شذونة شريش وغيرها. الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ٣٢٩؛ الحميري: الروض المعطار، ص٣٣٩؛ السامراني وآخرون: تاريخ العرب، ص ٢٣.

(٤٠) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٣٢ ؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٧، ٨ ؛ المقري: نفح الطيب، ج ١، ص ٢٥٩.

(٤١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٣٢.

(٤٢) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٥٢.

(٤٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٣.

(٤٤) المقري: نفح الطيب، ج١، ص ٢٧٥؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٥٤.

إخضاع معاقل جليقية التي اعتصمت بها فلول القوط فأخترق جليقية واستولى على معظمِ معاقلها، ولم يبقَ للنصارى سوى شراذم يسيرة اجتمعت حول زعيمٍ يدعي بلاجيس أوبلايو، ولجأت إلى قاصيةِ جليقية وبينما كانَ موسى يتأهبُ لسحقها وصله كتابٌ آخر مِنْ دمشق يستدعيهِ ويأمرهما بتعجيلِ العودة(٤٥) فأتجه موسى وطارق بن زياد صوب العاصمة الأموية دمشق وكان موسى قد ولى ابنه عبد العزيز على الأندلس قبل عودته منها(٤٦)، وتعتبر ولايةُ عبد العزيز بن موسى بن نصير بدايةَ عصر الولاة (٩٥-٩٧هـ/٧١٣- ٧١٥م)(٤٧)، وبذلك نجحَ المسلمونَ في نقلِ مجالِ الصراع من داخلِ بلادِ المغربِ إلى الخارجِ وأصبح كل من العربِ والبربرِ في خطٍ واحدٍ لمواجهةِ القوطِ الغربيينَ ولنشرِ الإسلامِ في الأندلسِ، ويتضحُ من الأحداثِ السابقةِ أن الجيشَ الذي فتحَ الأندلسَ كان جُلّه من الرهائنِ.

ب - رهائن الصراعات الداخلية خلال عصر الولاة (٩٥-٩٧هـ/٧١٣- ٧١٥م)

كان المجتمعُ الجديدُ الذي جمعَ الإسلامُ شملهَ ومزجَ بين عناصره في الأندلس، قد ظهرت فيه الأهواءُ والنزاعاتُ وسرعان ما مزقته فوارقُ الجنسِ والعصبيةِ وظهرتِ المنافسات

(٤٥) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٢٧٠؛ المقرى: نفح الطيب، ج١، ص٢٧٩؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٥٢ ؛ عبد الرحمن على الحجى: التاريخ الأندلسي، ص١١٦.

(٤٦) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص٢١٠، ٢١١؛ الحميدى: جذوة المقتبس، ص ٤٤؛ ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص٥٠ ؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١١٨.

(٤٧) عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج١، ص ٥٢ ؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٣٨٨.

القديمةُ بين القبائلِ العربيةِ، وظهرَ بغضُ البربرِ الذين يتألفُ منهم معظم الجيشِ لقادتِهم ورؤساءِهم العرب، ونقموا عليهم استئثارهم بالسلطةِ والمغانم الكبيرة، واحتلالهم لمعظمِ القواعد والوديان الخصبة، وكثيرا ما رفعوا لواء العصيان والثورة(٤٨)، ويذكرُ أحدُ المؤرخينَ أن المناطقَ التي استقرُ بها البربر تكادُ تتساوي مع ما أخذهُ العرب(٤٩)، وأفرز سوء الأوضاعِ السياسيةِ والاجتماعيةِ في بلادِ الأندلسِ في عصر الولاة الحاجة لاتخاذِ رهائنَ، فكان لهؤلاءِ الرهائن تأثيرٌ كبيرٌ على مجرياتِ الأحوالِ السياسية والاجتماعيةِ والاقتصادية في بلادِ الأندلس في عصرِ الولاة، وقبلَ المضي في الحديثِ عن الرهائن يجبُ علينا أن نوضحَ الأحداثَ السياسيةِ التي أدت إلى اتخاذ الرهائنِ في الأندلسِ في عصر الولاة.

تجمعُ المصادرُ التاريخيةُ على أن عصر الولاةِ(٥٠) في الأندلسِ بدأَ سنة (٩٥هـ/ ٧١٣م) منذُ ولاية عبد العزيز بنِ موسى بن نصير على الأندلس(٥١)، وهي الفترةُ الزمنيةُ التي أعقبت استدعاء الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م) لموسي بن نصير(٥٢) مِنْ بلادِ المغربِ والأندلسِ، ويدلُ مصطلحَ عصرِ الولاةِ على وضعٍ سياسي شهدتهَ البلادُ الإسلاميةُ في الجناح الغربي منذُ أن تم للمسلمين فتحها في نهايةِ القرنِ الأولِ الهجري

(٤٨) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص٦٧.
(٤٩) لمزيد من التفاصيل أنظر: حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٤٢٨، ٤٢٩.
(٥٠) قائمة بأسماء ولاة الأندلس أنظر ملاحق الرسالة، ص٣٢٥.
(٥١) مجهول: أخبار مجموعة، ص١٩ ؛ ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس، ج١، ص ٤٦٨؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٢؛ المقرى: نفح الطيب، ج١، ص ٢٧٦.
(٥٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٢١٠، ٢١١؛ الحميدى: جذوة المقتبس، ص ٤؛ ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص٥٠ ؛ ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص٢٧٠ ؛ المقرى: نفح الطيب، ج١، ص ٢٧٥؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١١٨.

السابع الميلادي، فأصبح حاكمُ البلادِ أميراً يقيم بالقيروان وكانتِ الأندلسُ ولايةً تابعةً لإفريقية(٥٣).

فوالي إفريقية يولي على الأندلس مِنْ أحب(٥٤) وذلكَ مثل الوالي عنبسة بن سحيم الكلبي الذي تولي سنة (١٠٣هـ/٧٢١م)(٥٥)، ويحيي بن سلمة الكلبي سنة(١٠٧هـ/ ٧٢٥م)(٥٦) وفي أحيانِ أخرى تدخلتِ الخلافةُ الأموية في تعيينِ هؤلاءِ الولاة(٥٧) حيثُ ولى الخليفة عمر بن عبد العزيز السمح بن مالك الخولاني سنة(١٠٠هـ/٧١٨م)(٥٨)علي الأندلس، ولقدْ عين أهالي الأندلس بأنفسهم مَنِ يلي أمرهم، مثل ثعلبة بن سلامة العاملي سنة(١٢٣هـ /٧٤٠م) (٥٩)، وقد اختير مِنْ قبل الشاميين بالأندلس، وهناك مجموعة اختيرت

(٥٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٧ ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٨٢ ؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٣٧٣.

(٥٤) ابن القوطية: تاريخ إفتتاح الأندلس، ص ٤٢١؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٨٢.

(٥٥) عنبسة بن سحيم الكلبي: تولي أمر الأندلس بعد مقتل واليها السمح بن مالك الخولاني، وقد جاء إلى الأندلس سنة (١٠٣هـ/٧٢١م) وقد ولاه أمر الأندلس بشر بن صفوان، خلال عهد الخليفة هشام بن عبد الملك، كانت فتوحات عنبسة تتسم باالمهارة أكثر منها فتوحات بطش وقوة، لذلك تضاعف في أيامه خراج بلاد الغال، وافتتح قرقشونة (Garcassonne) صلحا بعد أن حاصرها مدة، وتوغل في بلاد فرنسا فعبر نهر " الرون " إلى الشرق، وأستشهد غازيا سنة (١٠٧ هـ/ ٧٢٥م). ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج١، ص ٥٧٧ ؛ الحميدى: جذوة المقتبس، ص ٣٠١ ؛ ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص٣٧٧ ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٨٢.

(٥٦) يحيي بن سلمة الكلبي: أنفذه حنظلة ابن صفوان الكلبي والي افريقية عندما استدعي منه أهل الأندلس واليا بعد مقتل عنبسة فقدمها آخر سنة (١٠٧ هـ/ ٧٢٥م) وأقام في ولايتها سنتين ونصفا ولم يغز. ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص٣٧٧ ؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٥٢؛ المقرى: نفح الطيب، ج١، ص ٢٣٥.

(٥٧) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٢٦.

(٥٨) السمح بن مالك الخولاني: أمير من بني خولان من قضاعة، استعمله عمر بن عبد العزيز ﷺ على الأندلس، وأمره أن يميز أرضها، ويخرج منها ما كان فتحه عنوة فيأخذ منه الخمس، وأن يكتب إليه بصفة الأندلس، فقدمها سنة (١٠٠هـ/ ٧١٨م)، وفعل ما أمره به عمر، وفي عهده نشطت حركة الفتوح عبر جبال البرتاب نشاطاً عظيماً، فتوغل في جنوبيّ فرنسة و ففتح مدينة أَرْبُوْنَة سنة (١٠٠هـ/٧١٩م) وكان فتحها عَنْوَة، واستكمل فتح ولاية سبتمانيا واستشهد غازيا بأرض الفرنجة، في الوقعة المشهورة بوقعة تولوشة واستُشهد يوم عَرَفة من سنة (١٠٢هـ/٧٢١م)، وهو الذي بني قنطرة قرطبة ؛ ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج١، ص ٤٠٤ ؛ السمعاني: الأنساب، ج٢، ص٢٩٦؛عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٨١.

(٥٩) ثعلبة بن سلامة: كان من أمراء العساكر التي لقيت خوارج البربر بنواحي طنجة، فانهزم إلى الأندلس مع بلج بن بشر وجماعة من أهل الشام، وأثاروا الفتن فيها حتى قتل عبد الملك بن قطن الأمير باالأندلس وولي ثعلبة الأندلس في شوال سنة (١٢٣هـ/٧٤٠م) بتأييد أهل الشام؛ وثار عليه من بقي من البربر بماردة في أيامه فغزاهم وقتل منهم خلقا كثيرا وأسر منهم نحو الألف وانصرف إلى قرطبة، وكانت ولايته عشرة أشهر. الحميدى: جذوة المقتبس، ص ١٨٥، ١٨٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٤٦٤؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٣٢، ٣٣ ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٢٢.

تبعا لرغبةِ الأغلبية(الجماعة) من المسلمين في الأندلسِ، مثل أيوب بن حبيب اللخمي(٩٨هـ/٧١٦م)[٦٠]، وعبد الرحمن الغافقي[٦١] في ولايته الأولى سنة(١٠٢هـ/٧٢٠م) و يوسف الفهري الذي تولي سنة(١٢٩هـ/٧٤٦م) [٦٢]، وانتظروا الموافقة على هذا الإجراء إما من حكومةِ أفريقية أومن دمشق مقر الخلافة الأموية.

ولقد بلغَ عدد ولاةِ الأندلسِ في هذه الفترة بعد عودة موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى دمشق نحو عشرين واليا، تولوا الحكم لفترةٍ بلغتْ اثنين وأربعين عاماً تقريباً [٦٣].

وتميزَ عصرُ الولاةِ بالعديدِ من السماتِ التي سوف يتوقف عليها مستقبل دولةِ الإسلامِ بالأندلس وأهمها:

الصراعُ بينَ العربِ والبربرِ:

(٦٠) أيوب بن حبيب اللخمي: بعد مقتل عبد العزيز بن نصير عمت الفوضى البلاد ولمنعها إتفق أهل الأندلس على إختيار أيوب بن حبيب اللخمي ليلي أمرهم وهو ابن أخت موسى بن نصير وتحول إلى قرطبة وجعلها دار إمارة في سنة (٩٨هـ/ ٧١٦م)، حاول أيوب بن حبيب اللخمي، أن يثبّت السلطة العربية ويطهر المنطقة الشمالية من مقاومة القوط، فقام بإنشاء قلعة أيوب Calatayud، تقع إلى الشمال الشرقي من طليطلة. ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ١١٩؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٢٥ ؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١١٨؛ المقرى: نفح الطيب، ج١، ص ٢٣٤؛ السلاوي: الاستقصا، ج١، ص ١٥٦؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٤٧.

(٦١) عبد الرحمن الغافقي: عبد الرحمن بن عبد الله بن بشر بن الصارم الغافقي، أبو سعيد: أمير الأندلس، من كبار القادة الغزاة الشجعان، أصله من غافق من قبيلة عك، في اليمن، وهو من العرب البلديين، أي الذين دخلوا الأندلس مع حملتي طارق وموسى واستقروا فيها وساهم في حملات الفتح في جنوب فرنسا وقاد المسلمين بسلام إلى الأندلس بعد استشهاد السمح بن مالك في معركة طولوشة، ؛ وكان عبد الرحمن يعد من التابعين، ومن رواة الحديث النبوي الشريف، ولاه هشام بن عبد الملك إمارة الأندلس سنة (١١٢هـ/٧٣٠م) فقضي على الاضطرابات الداخلية، وتهيأ لمجابهة تحدي الفرنجة في غالة القوطية، وعمل على تأسيس وتثبيت موطئ قدم للمسلمين عبر جبال ألبرت، وتقوية قاعدة أربونة الإسلامية؛ فزار أقاليمها وتأهب لفتح بلاد الغال، واستولى على مدينة بوردو، ودحر جيوش شارل مارتل، ولكنه استشهد في معركة بلاط الشهداء (بواتيه) بقرب نهر اللوار. ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٤٠٣، ٤٠٤؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢ ص ٢٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٩٧.

(٦٢) ابن القوطية: تاريخ إفتاح الأندلس، ص ٤٤؛ ابن عذاراي: البيان المغرب، ج٢، ص ٣٦؛ ابن الخطيب: الإحاطة في اخبار غرناطة، مج٤، ص ٣٦؛ الزركلي: الأعلام، ج٨، ص ٢٣٦.

(٦٣) المقري: نفح الطيب، ج١، ص ٢٤٩.

تحملَ البربرُ معظم عبءِ فتحِ الأندلس وأسهموا بنصيبٍ وافر في تدعيمِ الوجودِ الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية ولم ينظرْ عرب الأندلسِ إلى بربرها نظرة الند للند فقدِ استبدَ العربُ دونهم بخيراتِ الأندلس واستبدوا بأمرِ الحكمِ وإدارةِ البلاد (٦٤) واتسم الصراعُ بطابعٍ سياسي عنصري وذلك نتيجةً لسياسةِ الدولةِ الأمويةِ التي تقومُ على مبدأِ سيادةِ الجنسِ العربي وتفضيلِهِ على مَنْ سواهُ من الأجناسِ الأخرى (٦٥).

ويرجع السببُ في كثرةِ الثوراتِ في الأندلسِ لمنعةِ البلادِ وحصانةِ المعاقلِ، وبأسِ أهلها بمقاربتهم عدو الدين، والثاني علو الهمم، وشموخُ الأنوف، وقلةُ الاحتمالِ لثقلِ الطاعةِ، والثالثُ الاستنادُ عند الضيقة والاضطرار إلى الجبلِ الأشمِ والمعقلِ الأعظم من ملك النصارى الحريص على ضرب المسلمين بعضهم ببعض (٦٦).

ولكي نتتبعَ الصراعَ بين العربِ والبربرِ في الأندلسِ يجب علينا أن نعود لأحداثِ الفتنةِ بين العربِ والبربرِ في المغربِ، و أحدثُ هذهِ الفتنةِ كان لها صداها في الأندلسِ، وكانتِ الأندلسُ تتبعُ إفريقية من الناحيةِ الإداريةِ، وكان لاضطرابِ الحكمِ في إفريقيةَ أثرهُ على اضطرابِ الحكمِ في الأندلس(٦٧)، حيثُ بدأ النزاعُ بين العربِ والبربرِ في ولايةِ يزيد بن أبي مسلم(٦٨) على إفريقية سنة (١٠١هـ/٧٢٠م) في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١-

(٦٤) حمدي عبد المنعم: ثورات البربر في الأندلس، ص ٣.
(٦٥) أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية (د. ت)، ص ٩٠.
(٦٦) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٣٦.
(٦٧) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٢٢؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٣٧٣.
(٦٨) يزيد بن أبي مسلم: استعمله الخليفة يزيد بن عبد الملك بن مروان على إفريقية سنة (١٠١هـ/ ٧٢٠م)، فلما ولي يزيد على إفريقية عزم أن يسير فيهم بسيرة الحجاج، فوضع الجزية على رقاب سواد إفريقية، فقتله أهلها؛ ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص٣٣٨؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١، ص٢٣٥؛ حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص٢٠٤.

١٠٥هـ/٧١٩-٧٢٣م)[٦٩] وكان متعصباً للعرب مستبداً بالبربر واستخدم الشدةَ معهم وصادر أموالهم وسبي نساءهم البربريات[٧٠] وبسببِ سياسته قتلهُ البربرُ وهو خارجٌ من بيته إلى المسجد سنة (١٠٢هـ/٧٢٠م) [٧١] فخلفه على ولاية إفريقية بشر بن صفوان الكلبي[٧٢] (١٠٢هـ/٧٢٠م) وبقي واليا على إفريقية حتى وفاته سنة (١٠٩هـ/٧٢٧-٧٢٨م) وقد سار على نهجِ يزيد بن أبي مسلم في اضطهادِ البربرِ واستبداده بهم، وأسرف في استعمالِ القسوة البالغةِ ضدهم[٧٣].

وتولى أمر إفريقية عبيدة بن عبد الرحمن السلمي[٧٤] سنة (١١٠هـ/٧٢٩م) فوليها قليلاً إلا أنه سأل الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٤-٧٤٣م) أن يعفيه من هذا المنصب ويسنده لشخصٍ آخر فعزله وولى مكانه عبيد الله بن الحبحاب[٧٥] سنة

---

(٦٩) يزيد بن عبد الملك: ولد سنة (٧١هـ/٦٩٠)، استخلف في سنة (١٠١ـ ١٠٥هـ/ ٧١٩ــ ٧٢٣م) بعد وفاة عمر بن عبد العزيز ﷺ بعهد من أخيه سـليمان ؛ ابن عبد الحكم: فتوح مصـر، ص ٢١٧؛ الذهبي: تاريخ الإسـلام، ج٧، ص ٧؛ السـيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٥٢م، ص٢١٧.

(٧٠) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٣١ ؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص ٤٩ ؛ حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص ٢٠٦.

(٧١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ٢٤ ؛ الزركلي: الأعلام، ج ٧، ص ٢٧٦.

(٧٢) بشر بن صفوان الكلبي: بشر بن صفوان بن تويل بفتح التاء المثناة بن بشر بن حنظلة بن علقمة بن شرحبيل بن عرين بن أبي جابر بن زهير الكلبي أمير المغرب، وأحد الشجعان ذوي الرأي والحزم؛ ولي مصر أولا سنة (١٠١هـ/ ٧١٩م)، من قبل يزيد بن عبد الملك، ثم جاءه كتاب يزيد بتأميره على إفريقية سنة (١٠٣هـــ/٧٢١م)، فخرج إليها وأقام في القيروان، فأستصفي بقايا آل موسى بن نصير وغزا صقلية؛ومات بالقيروان سنة (١٠٩هـــ/ ٧٢٧م)؛ ابن الحكم: فتوح مصر، ص ٢١٥، ٢١٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٣٨٣؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص ٤٩ ؛ أبو المحاسـن: النجوم الزاهرة، ج١، ص٣١٢؛ السـلاوي: الاستقصا، ج١، ص ١٦٠.

(٧٣) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج١، ص٣١٢؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص ٤٩.

(٧٤) عبيدة بن عبد الرحمن السلمي: ولاه الخليفة هشام بن عبد الملك على المغرب بعد وفاة بشر بن صفوان، فقدم القيروان سنة (١١٠هـ / ٧٢٨م)، ونظر في أمر المغرب والأندلس معا، وكان عبيدة بن عبد الرحمن قد أخذ عمال بشر بن صفوان قبله وعذبهم فكتب بعضـهم بذلك إلى الخليفة هشـام فعزله لأربع سـنين وستة أشـهر من ولايته؛ ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٤٠٣، ٤٠٤؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص ٥٠ ؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٥٢ ؛ السلاوي: الإستقصا، ج١، ص١٦٠.

(٧٥) عبيد الله بن الحبحاب: هو مولي بني سـلول وكان رئيسـا نبيلا وأميرا جليلا وخطيبا مفوها، وكان أول الأمر كاتبا، وأسـندت إليه ولاية مصر وإفريقية والأندلس، ولاه هشام بن عبد الملك على المغرب بعد عزل عبيدة بن عبد الرحمن عنه وأمره أن يمضي إليه من مصر فاستخلف عبيد الله على مصر ابنه أبا القاسم وسار إلى المغرب فقدم القيروان في ربيع الآخر سنة (١١٦هـ/٧٣٤م) وهو الذي بني المسجد الجامع ودار الصناعة بتونس، واستعمل عمر بن عبيد الله المرادي على طنجة والمغرب الأقصى واستعمل ابنه إسماعيل بن عبيد الله معه على السوس وما وراءه واستعمل على الأندلس عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص ٥٢ ؛ السلاوي: الإستقصا، ج١، ص١٦١.

(١١٦هـ/٧٤٣م) الذي فرض الجزية عليهم ولم يقفْ الأمرُ عند ذلك بل تعداه إلى سوءِ المعاملةِ والإهانةِ وأساء السيرة وتعدي على الصدقات والعشر، وأراد تخميس مسلمي البربر وزعم أن البربر فيء للمسلمين فكانت أفعاله سبباً لانتفاض البربر الذين أعلنوا الثورة في المغربِ الأقصى سنة (١٢٢هـ/٧٣٩م) فكانت أول ثورة بإفريقيةِ في الإسلامِ(٧٦).

وفي هذه الأثناء أشتد اضطهاد بني أمية للعلويين والخوارج الصفرية (٧٧) فهرب هؤلاء من الشامِ والعراق إلى المغربِ، فوجدوا أهله حاقدين على سياسةِ عمال بني أمية وولاتهمْ، مما سهلَ على هؤلاء الخوارج نشر أفكارهم ومبادئهم فعملوا على كسب أهل المغرب إلى جانبهم (٧٨) فأقبل البربر على اعتناق مبادئهم لما تضمنته من مبادئ الحريةِ والديمقراطيةِ والحثِ على مقاتلةِ الغاصبين للحكمِ، فأصبحت القبائلُ البربريةُ القاصيةُ تضطرم بنزعاتِ الخروج والثورةِ فكانتْ هذه العواصفُ تحفز البربرَ في إسبانيا (٧٩).

وفي ظلِ هذهِ الأحداث برزَ زعيمٌ بربري يدعي ميسرة المدغري أو المطغري(٨٠) من قبيلةِ مدغرة البربرية وأصبح قائداً على البربرِ وثارَ على العربِ ونجح في هزيمتهم واستفحل شأنه، وذاعت دعوةُ الخوارجِ في المغرب ذيوعاً كبيراً واستطاعَ ميسرة أن يبسط نفوذه على

(٧٦) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص٤٠٤- ٤١٦؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص ٥٢؛ النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣١؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص٢٤١؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص٢١٧ - ٢٢٢.

(٧٧) الخوارج الصفارية: هم أحد فرق الخوارج الرئيسية وفي تعيين نسبتهم أقوالاً عدة، فقيل إنهم أتباع زياد بن الأصفر، وقيل: ابن عبد الله بن صفار وقيل: عبد الله بن قبيصة وأطلق عليهم ذلك اللقب لأن العبادة أنهكتهم فاصفرت وجوههم فنسبوا إلى تلك الصفرة، و كانت خوارج المغرب إباضية وصفرية فلما كانت ولاية عبيد الله بن الحبحاب ونال عماله من البربر ما نالوا من الجور والعسف انتقضوا عليه وثار ميسرة المضغري المعروف بالخفير بأحواز طنجة، وكانوا على رأي الصفرية وكان شيخهم ميسرة المضغري مقدما في ذلك المذهب. لمزيد من التفاصيل ينظر: الشهرستانى: الملل والنحل، تحقيق أبو محمد محمد بن فريد، المكتبة التوفيقية، القاهرة (د. ت)، ج١، ص ١٤٧، ١٤٨؛ السلاوى: الإستقصا، ج١، ص١٦٤.

(٧٨) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٢٠٩.

(٧٩) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١١٧.

(٨٠) ميسرة المدغرى: من قبيلة مدغرة البربرية، عرف بالحقير بائع الماء، لأنه كان يبيع الماء في مساجد وأسواق القيروان، وعرف عنه الطمع وحب المغامرة؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص ٦٨ ؛ ابن القوطية: تاريخ إفتتاح الأندلس، ص ٤٠؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ٢٤١.

المغرب الأقصى إلا أنه أساءَ السيرة في جماعته فقتلوهُ وولوا مكانه خالد بن حميد الزناتي[٨١] وهوَ منْ بطونِ زناته ونجحَ في هزيمةِ العربِ في وادي شلف[٨٢]، وقتلَ خالدُ جماعةً كبيرةً من زعماءِ وأشرافِ العربِ لذلك سميتْ المعركةُ بغزوةِ الأشرافِ وكان ذلك في أوائل سنة (١٢٣هـ/٧٤٠م)[٨٣]، وبلغَ أهلُ الأندلس نبأَ ثورة البربرِ في طنجة، فانتفضتِ البلادُ وعمت أرجاءهَا الفوضى ودبَّ الذعرُ في نفوسِ العربِ، وثارَ بربرُ الأندلسِ على واليهم عقبة بن الحجاج السلولي فاضطر الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٤-٧٤٣م) إلى إرسالِ جيشٍ ضخمٍ من عربِ الشام جعلَ على قيادته كلثوم بن عياض القشيري[٨٤] في جمادي الآخرة سنة (١٢٣هـ/٧٤٠م)[٨٥]، ولكن هذا الجيش لم يتمكنْ من الصمودِ ومني بهزيمةٍ نكراءَ عند وادي سبو[٨٦] في ذي الحجة سنة (١٢٣هـ/٧٤٠م)[٨٧] في معركةٍ قتل فيها كلثوم بن عياض وقائده حبيب بن أبي عبده، ولم ينج من كبار قواد المسلمين سوى بلج بن بشر القشيري وعشرة آلافٍ من الشاميين فروا إلى مدينة سبته، وحينها أخذ البربرُ بمحاصرةِ

(٨١) خالد بن حميد الزناتي: و من هتورة إحدي بطون زناتة فقام بأمرهم واجتمع إليه البربر فزحف إلى العرب وسرح إليه ابن الحبحاب عساكر الخليفة هشام بن عبد الملك وعلي مقدمتها خالد بن حبيب الفهري فكان اللقاء على وادي شلف فانهزم المسلمون وقتل خالد بن حبيب ووجوه من معه من العرب فسميت الوقعة وقعة الأشراف، وانتقض المغرب على ابن الحبحاب من سائر جهاته. ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ٢٩٣؛ السلاوى: الإستقصا، ج١، ص ١٦٥.

(٨٢) وادي شلف: نهر بقرب مليانة ويوجد في شمال غرب الجزائر وهو أطول واد في البلاد. الحميرى: الروض المعطار، ص ٣٤٣.

(٨٣) ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ٢٤٢؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص٣٠ ؛ السلاوى: الإستقصا، ج١، ص ١٦٥؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١١٩.

(٨٤) كلثوم بن عياض القشيرى: ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ٢٤٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١١٩.

(٨٥) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص٢١٨؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ٢٤٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١١٩.

(٨٦) وادي سبو (sebou): على نحو ثلاثة أيام من فاس، وفيه يصب وادي فاس وهو من أعظم أنهار بلاد المغرب، ووادي سبو من أعمال مدينة طنجة؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ٦٠٦؛ السلاوى: الإستقصا، ج١، ص ١٦٦.

(٨٧) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص٢٢٠؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص ٦٨؛ ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٤٠٣-٤١٧؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص٥٥ ؛ مجهول: أخبار مجموعة: ص ٣٢- ٣٤.

المدينةِ وأخذوا يهاجمونها المرةَ تلو الأخرى إلا أنهم لم يتمكنوا من دخولها لحصانتها(٨٨) ، وعمل البربرُ على نسف مزارعها وتخريب أراضيها لإخضاع العرب المحاصرين فيها، وخربوا أرضها مسيرة يومين كاملين، مما أدي إلى انقطاعِ خطوطِ الإمداداتِ بين بلج وأصحابه، فجاعوا فأكلوا لحوم دوابهم وجلودها اليابسة وأشرفوا على الهلاكِ(٨٩).

فاضطر بلج بن بشر إلى الاستنجادِ بعبد الملك بن قطن الفهري(ت١٢٤هـ/٧٤١م) فشاور حاشيته فنصحوهُ بعدم السماح لبلج وأتباعه بدخول الأندلس وحذروهُ على سلطانه(٩٠)، فتثاقل عنهم عبد الملك بن قطن لخوفهِ على سلطانهِ منهم (٩١)، فلما شاع خبر ضررهم عند رجالاتِ العربِ في الأندلس اشفقوا عليهم فأغاثهم زيادُ بن عمرو اللخمي بمركبين مشحونين ميرة أمسكت من أرماقهم، فلما بلغ ذلك عبد الملك بن قطن ضربَ زياد بن عمرو سبعمائة سوطٍ ثم اتهمه بعد ذلك بتأليب الجند عليه فسمل عينيه ثم ضربَ عنقه وصلب عن يساره كلباً، واتفق في هذا الوقتِ أن برابرة الأندلس لما بلغهم ما كان من ظهور برابرة العدوةِ على العرب انقضوا على عربِ الأندلسِ(٩٢)، فلم تكد أنباء ثوراتِ البربر في إفريقيا تصل إلى إخوانهم بربر الأندلس حتى هب هؤلاء في وجهِ العربِ ثائرينَ(٩٣)، وبدأتْ الثورةُ البربريةُ في الأندلس ضدَ العرب " فأخرجوا عرب جليقية وقتلوهم وأخرجوا عرب

(٨٨) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧١ ؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص٥٥ ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٢٣.

(٨٩) مجهول: أخبار مجموعة، ص٧٠، ٧١؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٢٣؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٣٧٣.

(٩٠) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧١؛ ابن القوطية: تاريخ إفتتاح الأندلس، ص٤١ ؛ ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٤٥٨؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص٣٠ ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٢٣.

(٩١) أحمد مختار: في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٩٢؛ حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص ٥.

(٩٢) مجهول: أخبار مجموعة، ص٧١؛ السلاوى: الإستقصا، ج١، ص١٦٧؛ المقرى: نفح الطيب، ج٣، ص٢٠.

(٩٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص٣٠ ؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص٧١.

استرقة[٩٤]، والمدائن التي خلفَ الدروبِ، فلم يرع ابن فطن إلا وهم قد هجموا عليه، وانضم عربُ الأطراف كلها إلى وسطِ الأندلسِ"[٩٥]

وهجمَ البربرُ على العربِ في الأطرافِ البعيدةِ في مناطقِ غربِ الأندلسِ وهي مناطقٌ آهلةٌ بالسكانِ البربرِ بينما العربُ قلةٌ فيها[٩٦]، ولم يهاجمِ البربرُ عرب سرقسطة لكثرتهم فيها وقلة البربر هناك[٩٧]، ومما زاد من خطورة الشقاق انتشارُ البربر في مناطقَ إستراتيجية في شبه الجزيرة، وهي المنطقةُ التي تمكن المسلمون من الدفاع عنها، فكانت منازل البربر تمتد من جبال البرانس إلى المحيط وهي المنطقة التي سماها المسلمون باسم الثغر، وهي تكون خطاً واحداً يبدأ من نواحي جبال البرت عند لاردة ووشقة ثم تنحدر إلى مدينةِ سالم[٩٨].

وثارَ البربرُ بالأندلسِ مقلدينَ في ذلك إخوانهم البربر في إفريقية[٩٩]، وحينما اشتدتْ ثورةُ البربرِ وتعاظمتِ انتصاراتهم تحرجَ موقفُ عبد الملك بن قطن كثيراً، فأرسل لقمعِ هذهِ الثورة عدة جيوش هزمت جميعا[١٠٠]، فرأي أنه لابد من الاستعانةِ بالشاميينَ ولو لفترةٍ مؤقتةٍ لحينِ القضاءِ على الخطرِ البربري الداهمِ على الأندلسِ وخصوصاً عندما بلغه عزمُ بربرِ المغرب على قصده، فلم يرَ أجدي له من الاستعانةِ بعربِ الشام أصحاب بلج بسبته، فكتبَ إلى بلج وقد مات عمه كلثوم فأسرعوا إلى إجابته وكانت تلك أمنيتهم فأحسنَ إليهم

(٩٤) مدينة استرقة: من مدن جليقية قرب ساحل المحيط قرب وقرب مدينة ليون، وهي التي يسميها ياقوت: أسْتُوريس (Asturies)، ويذكر أنها حصن من أعمال وادي الحجارة، أحدثه محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الأمويّ، ولا تزال أسوار استرقة ماثلة ؛ محمود شيت خطاب: قادة فتح الأندلس، ج١، ص ٦٤.

(٩٥) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧١.

(٩٦) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٢٣.

(٩٧) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧١.

(٩٨) إبراهيم العدوى: المسلمون والجرمان، دار رياض الصالحين للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٩٤، ص ١٦٢.

(٩٩) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص١٩٩؛ عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين، ص ١٥٨.

(١٠٠) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٣٨؛ ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٢٥١؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢. ص ٢٣٠؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٢٣.

وأسبغ النعمة عليهم(١٠١)، واشترط عليهم بألا يطول مقامهم في الأندلس سوى عامٍ واحدٍ وأخذَ منهم ابن فطن عددا من الرهائن لتنفيذ شروطه(١٠٢)، واشترط بلج على عبد الملك أن يتم نقل العرب الشاميين على مراكبِ أهلِ الأندلس دفعةً واحدةً إلى شمالِ إفريقية حتى لا يفرقهم ولا يعترضهم البربر وذلك بعد الانتهاءِ من هذه المهمة، ودخلوا الأندلس سنة (١٢٣هـ/٧٤٠م) وكانوا نحو عشرة آلافٍ منْ عربِ الشامِ(١٠٣).

وقدم عليهم ابنيه قطنا وأمية، والبربرُ في جموعٍ لا يحصيها غير رازقها فاقتتلوا قتالاً صَعُبَ فيه المقام إلى أن كانت الدبرة على البربر فقتلهم العرب بأقطار الأندلس(١٠٤) وغنموا متاعهم ودوابهم، وكان لذلك الأثرُ الأكبرُ في تحسنِ أحوالِ بلج وجماعته بسبب الغنائمِ التي كسبوها من البربر، وساروا مع عبدِ الملك بنِ فطن إلى مدينةِ قرطبة(١٠٥)، وتابعوا المسير شمالاً والتقي البربرُ مع القواتِ الشاميةِ في طليطلة عند وادي سليط(١٠٦) واستطاع الشاميينَ القضاءَ على هذه الجموعِ، وبذلك سحقتِ الثورةُ ومزقَ البربر ولم ينجُ منهم إلا الشريد(١٠٧) وانتعش بلج وأصحابه وقويت نفوسهم واشتدت شوكتهم(١٠٨).

(١٠١) ابن عبد الحكم: فتوح مصـــر والمغرب، ص ٢٢٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٤٥٨؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص٢٤٢؛ المقرى: نفح الطيب، ج٣، ص٢٠؛ السلاوى: الإستقصا، ج١، ص ١٦٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٢٣.
(١٠٢) مجهول: أخبار مجموعة، ص٧٢ ؛ ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٤٥٩؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ٢٤٢؛ المقرى، نفح الطيب، ج ٣، ص٢١.
(١٠٣) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٥٨؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٣١؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ٢٤٢؛ السلاوى: الإستقصا، ج ١، ص ١٦٨.
(١٠٤)ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٢٥٩؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٧٥.
(١٠٥) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٢٥١ ؛ ابن عذاري البيان المغرب، ج٢، ص ٣١.
(١٠٦) وادي سليط: نهر صـغير متفرع من نهر وادي تاجة وهو يخترق سـهلا في الجنوب الغربي لمدينة طليطلة، حمدي عبد المنعم: ثورات البربر في الأندلس، ص ٧ هامش ٢.
(١٠٧) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧٢-٧٣ ؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٣١.
(١٠٨)عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٢٤.

الرهائنُ الشاميون:

يتضحُ من العرض السابقِ للأحوال السياسيةِ ظروف أخذ الرهائن الشاميين الذين أخذهم عبد الملك بن قطن في سنة (١٢٣هـ/ ٧٤٠م)، حيث أنه اشترط على الشاميين "أن يعطوه من كل جند من قوادهم عشرةَ رهن يضعهم في جزيرة أم حكيم في البحر "(١٠٩)، فنستدلُ من الرواية السابقة أن عددَ رهائن الشامين الذين أخذهم عبد الملك بن فطن كان كبيراً حيث أنه أخذ عشرة رهن من كل جند من قوادهم وجعلهم تحت سيطرة والي الجزيرة(١١٠)، ولم تقدم لنا المصادر الإسلاميةُ العددَ الصحيحَ لهؤلاء الرهائن ولا أسماءهم، ولكن هؤلاء الرهائن كانوا من أشراف أهل الشام(١١١).

بعد قضاءَ الشاميينَ على ثورةِ البربرِ دخلت الأندلس مرحلة النزاع بينِ العرب البلديين وهم المستقرون في الأندلس منذ زمن الفتح، والقادمين الجدد وهم الشاميونَ القادمونَ إلى الأندلس بقيادة بلج بن بشر القشيري سنة (١٢٣هـ/٧٤٠م)(١١٢)، وتحول جند الشام إلى مستعمرين ورفضوا الخروج من الأندلس والعودة لبلاد المغرب(١١٣)، وذلك بعد أن امتلأت أيديهم من الغنائمِ واشتدتَ شوكتهم وثابت همتهم وبطروا ونسوا العهود، وطالبهم ابن قطن بالخروج عن الأندلس فتعللوا عليه قائلين احملنا إلى ساحل البيرة أو ساحل تدمير، فقال لهم

(١٠٩) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٣١؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ٢٤٢.
(١١٠) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧٢؛ ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٤٥٩؛ المقرى، نفح الطيب، ج ٣، ص٢١.
(١١١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٣١.
(١١٢) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٢٤.
(١١٣) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧٣، ٧٤ ؛ ص ٣١؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ٢٤٢.

عبد الملك: ليست لنا مراكب إلا بالجزيرة فقالوا له: إنما تريد أن تردنا إلى البربرِ ليقتلونا في بلادهم(١١٤) وذكروا صنيعه بهم أيام انحصارهم بسبتة وقتله زياد بن عمرو الذي أغاثهم بالميرة فخلعوه وقدموا على أنفسهم أميرهم بلج بن بشر(١١٥)، ودخل بلج القصر عشية يوم الأربعاء في ذي القعدة سنة (١٢٤هـ/ ٧٤٢م) (١١٦).

مقتلُ الرهائن في جزيرة أم حكيم واضطرابُ الأحوالِ السياسيةِ:

ونتيجةً لهذه الأحداثِ قام حاكمُ الجزيرة المعين من قبل عبد الملك بن فطن، بقطع الطعامِ والشرابِ عن الرهائن الذين أخذهم عبد الملك بن فطن من بلج بن بشر، وذلك حتى يضمن خروجه من الأندلس (١١٧) ونتيجة لقطع الطعام والماء عن هؤلاء الرهائن مات أحدهم وهو رجلٌ من غسان (١١٨) من أشراف دمشق (١١٩).

فلما بعثَ بلج في إخراجهم أقبلوا إليه وشكوا ما ركبهم به ابن فطن وقتله صاحبهم بالعطش، فقالوا أنصفنا منه فقالَ لهم بلج: ويحكم لا تفعلوا فإنه رجل من قريش، وكان موت صاحبكم على سبيل الخطأ، وحاولَ بلج أن يمنع أتباعه من تلك الفعلة إلا أنه فشل في ذلك

(١١٤) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٣١.
(١١٥) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧٣؛ المقرى: نفح الطيب، ج٣، ص ١٩.
(١١٦) ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٤٥٩؛ السلاوى: الإستقصا، ج١، ص ١٦٨.
(١١٧) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧٣؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٣١.
(١١٨)غسان: ماء بسد مأرب، كان شرباً لولد مازن بن الأزد فسموا به، ويقال: هو ماء بالمشلل قريب من الجحفة والذين شربوا منه فسموا به قبائل من ولد مازن بن الأزد بن الغوث وقال حسّان: إما سألتِ فإنا معشر نجب ؛ الأزدُ نسبتنا والماءُ غسَّانُ الحميرى: الروض المعطار، ص٤٣٠.
(١١٩) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧٣؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٣١.

واتهمه أصحابه بالوقوفِ بجانب ابن فطن، وخاف بلج بن بشر فسادهم وتفرق كلمتهم وتهديدهم له بعدم طاعته (١٢٠).

فأمر بابن قطن فأُخرج إليهم وهو شيخٌ كبيرٌ كفرخ نعامة قد شهد وقعة الحرة بالمدينة فجعلوا يسبونه ويقولون له: أفلت من سيوفنا يوم الحرة وعرضتنا لأكل الكلاب والجلود وحبستنا بسبته محبس الضنك حتى أمتنا جوعا فقتلوه وصلبوه في ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين ومائة، وصلبوا عن يمينه خنزيراً وعن يساره كلباً مبالغة في تحقيره، واستولى بلج على الأندلس (١٢١) فأدي هذا إلى نشوب صراع عنيف بين عرب الأندلس وجند الشام (١٢٢).

ترتبت على مقتل أحدِ الرهائن بِجزيرة أم حكيم نتائجٌ خطيرةٌ كانت وبالاً على الأندلس

حيث نجد أن النزاع في الأندلس تحول من النزاع بين العرب والبربر إلى نزاعٍ بين العرب أنفسهم (البلديين، والشاميين) (١٢٣)، وعمت الفوضى جميع أنحاء الأندلس بعد مقتل عبد الملك بن قطن، فقد كان له ولدان هما قطن وأمية وعز عليهما ما فعله بلج بوالدهما فبدءا يعدان العدة للانتقام من بلج وأتباعه(١٢٤)، وكان قطن و أمية قد هربا بعد مقتل والدهما(١٢٥) فذهب أحدهما إلى ماردة وذهب الآخر إلى مدينةِ سرقسطة(١٢٦) وأعدا العدة للانتقامِ فتحالف العرب البلديون بقيادة قطن وأمية مع البربر الذين كانوا يتلهفون للانتقامِ من العرب

(١٢٠) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧٣.
(١٢١) ابن عبد الحكم: فتوح مصـر وأخبارها، ص ٢٢٠، ٢٢١ ؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧٣ ؛ ابن القوطية: تاريخ إفتتاح الأندلس، ص ٤٢؛ السلاوى: الإستقصا، ج١، ص ١٦٧.
(١٢٢) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧٣، ٧٤؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٣١.
(١٢٣) ابن الأبار: الحلة السيراء، ص٦١؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٢٤.
(١٢٤) الضبى: بغية الملتمس، ص١٠؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٣٢.
(١٢٥) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٢٥٩ ؛ المقرى: نفح الطيب، ج١، ص ٢٣٦.
(١٢٦) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٢٤.

الشاميين، وانضم إليهم الوالي عبد الرحمن بن علقمة اللخمي[١٢٧] عامل عبد الملك بن قطن في أربونة[١٢٨] وانضم إليهم فرقة من أتباع بلج بن بشر الساخطين عليه لفتكه بعبد الملك بن قطن بقيادة عبد الرحمن بن حبيب كبير الجند [١٢٩]، فانقسمت الأندلس إلى معسكرين كبيرين: معسكر الشاميين المتغلبين على الحكم، ومعسكر العرب والبربر المحليين الذين اعتبروا الشاميين دخلاء غاصبين[١٣٠]

وجمع ابنا عبد الملك بن قطن جيشاً عظيماً بلغ تعداده مائة ألف مقاتل[١٣١]، وقيل بلغ تعداد جيشهم أربعين ألفاً، وخرج إليهم بلج في جيش بلغ تعداده عشرة آلاف رجل من الأمويين والشاميين[١٣٢]، وألتقي الجيشان في موضع يقال له " أقوة برطورة[١٣٣] في منطقة تبعد قليلاً عن قرطبة، و نشب القتالُ بينهما في شوال سنة (١٢٤هـ/ أغسطس٧٤٢م) واستبسل الشاميون في صدِ جميع هجمات المتحالفين[١٣٤] ولما شاهد عبد الرحمن بن علقمة

(١٢٧) عبد الرحمن بن علقمة اللخمي: عبد الرحمن بن علقمة اللخمي فارس الأندلس ووالي ثغر أربونة وكان ذا بأس شديد ووجاهة عظيمة، ثار على يوسف الفهري فبينما هو في تدبير غزوه اغتاله أصحابه وأقبلوا برأسه يوسف الفهري؛ المقري: نفح الطيب، ج٣، ص ٢٦.

(١٢٨) أربونة: تقع في طرف الثغر من أرض الأندلس، كانت عاصمة لإقليم في جنوب غاليا عرف باسم سبتمانيا يقع في أقصى الشمال الشرقي لإسبانيا، ومدينة أربونة تقع في شمال شرقي قرقشونة، على الساحل الفرنسي الجنوبيّ، وقد خرجت عن أيدي المسلمين سنة (١٣٣هـ/٧٥٠م) مع غيرها مما كان في أيديهم من المدن والحصون؛ الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ١٤٠؛ مني حسن أحمد: قاعدة نربونة ودورها في الجهاد ضد الفرنجة، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة٢٠٠٠م، ص٧.

(١٢٩) عبد الرحمن بن حبيب: عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري، كان مع أبيه حبيب في العساكر القاصدة لقتال خوارج البربر بنواحي طنجة، وهرب في جملة المنهزمين، ودخل الأندلس من مجاز الخضراء، قبيل دخول بلج بن بشر، وثعلبة بن سلامة، فأثار الفتن قبل قتل عبد الملك بن قطن أميرها، وكانت له في الحروب بها أخبار إلى أن وصل حسام بن ضرار الكلبي أبو الخطار أميراً عليها، ففرق جموع الفتن، ورد الأمور إلى الاستقامة، وأخرج عبد الرحمن بن حبيب من الأندلس إلى إفريقية بعد سنة خمس وعشرين ومائة؛ الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٢٧١، ٢٧٢.

(١٣٠) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٢٤.

(١٣١) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٢٥٩؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٣٢ ؛ المقري: نفح الطيب، ج٣، ص ٢١.

(١٣٢) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧٤؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤٢؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٣٢.

(١٣٣) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧٤.

(١٣٤) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧٤؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٥٣؛ دوزى: تاريخ مسلمي إسبانيا، ج١، ص١٦٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٢٥.

اللخمي حاكم أربونة بلج بن بشر والراية في يديهِ ضربه بالسيف ولم يلبث عبد الرحمن بن علقمة اللخمي أن قتل هو الآخر، وارتد حزب العرب البلديين بعد الهزيمة التي لحقت بهم(١٣٥).

وأما الشاميون الذين لم يقتل منهم غير عدد يسير فعادوا إلى قرطبة منتصرين، ونادي الشاميين بعد وفاة بلج بتولية ثعلبة بن سلامة العاملي اليمني في شوال سنة (١٢٤هـ/٧٤٢م) وأحبه جنده حباً جماً لعزمهِ على مناهضةِ العرب المحليين، وأساء السيرة في العرب والبربر فعندما تمكن من إخماد القبائل الثائرة ضده قام بسبيهم في قرطبة وبلغ به الأمر أنه كان يبيع شيوخ العرب البلديين وأشراف القبائل لمن ينقص في الثمن، لا لمن يزيد حتى أنه باع أحدهم بكلب (١٣٦) وهذا قمة الإهانة لهم.

هذا ولم ينته الصراع بين الشاميين الأمويين والبلديين والبربر إلا بعد أن أرسل الخليفة هشام بن عبد الملك " أبو الخطار حسام الكلبي أميرا على الأندلس (١٣٧) (١٢٥-١٢٨ هـ/ ٧٤٣- ٦٤٦م) فقام بتوزيع المتنازعين على مدنٍ تبعد عن الأخرى (١٣٨)، وذلك بعد أن استشار إرطباس قومس أهل الذمة، الذي اقترح عليه أن يقوم بتوزيع الشاميين على جميع نواحي الأندلس، على أن تجبي كل قبيلة غلة الناحية التي نزلت فيها وتأخذ عطاءها والزيادة لبيتِ المالِ (١٣٩).

ونلاحظ كذلك أن العَرب تمزقت وحدتهم وتفرقت كلمتهم وذلك نتيجة لمقتل أحد الرهائن الشاميين، الذي كان مقتله بمثابة الشرارة للحرب الأهلية، وكان مقتله بالنسبة للشاميين

(١٣٥) المقرى: نفح الطيب، ج٣، ص٢٢.
(١٣٦) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧٤؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٣٤.
(١٣٧) الحميدى: جذوة المقتبس، ص ٢٠٠، ٢٠١؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ص ٦١.
(١٣٨) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧٤ ؛ ابن القوطية: تاريخ إفتتاح الأندلس، ص ٤٢، ٤٣؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ص ٦١، ٦٢.
(١٣٩) ابن الخطيب: الإحاطة، ج١، ص ١٠٢، ١٠٣.

بمثابة القشة التي قسمت ظهَر البعير، أو القطرة التي أفاضت الإناء، واتخذوا من مقتله زريعة للانتقام من عبد الملك بن قطن، وكان خوف بلج من عدم طاعة أصحابه له هو ما أدي إلى تطور النزاع الذي أخذ شكل العصبيات القبلية بين القيسية واليمنية.

كل هذه الأحداث أدت إلى اجتماع الكلمة على تأييد أبي الخطار بن ضرار الكلبي وطاعته، وسكنت الفتنة واستقر النظام، ولكنه مال إلى قومه من اليمانية، وبدأ في التحامل والاضطهاد للمضريةِ، وبهذه السياسة أسخط القبائل القيسية وأغضبها، والسبب الذي دفعه للتخلي عن سياسته في الأندلس كان بسيطاً، إذ حدث خلافٌ بين رجلين أحدهما من قبيلةِ كنانة من الشاميين، مع رجلٍ آخر من قبيلة كلب اليمنية فشكا الكلبي خصمه المضري إلى أبي الخطار، فانحاز في حكمه فذهب المضري إلى زعيم المضرية الصميل بن حاتم بن شمر الكلابي وشكا له ما لحق به عند أبي الخطار، فذهب إليه ليكلمه في شأن هذه القضية ولكن أبو الخطار انتهز الفرصة وعمل على إهانة الصميل، وبالغ في شتمه وطلب من حراسه وجنوده أن يضربوه ففعلوا حتى مالت عمامته على كتفيه، وخرج الصميل من مجلس أبي الخطار غاضباً وعلي باب القصر رآه أحد الحراس وقد مالت عمامته فقال له " أقم عمامتك يا أبا الجوشن، فقال: "إن كان لي قوم فسيقيمونها"(١٤٠).

بعث الصميل بن حاتم إلى قومه في مختلف الأنحاء وأيدته المضرية وحلفاؤهم في الخروج وتفاهم مع باقي الزعماء الناقمين على أبي الخطار، ومنهم ثوابة بن سلامة الجذامي زعيم جذام، وكان يمنياً وكان يحقد على أبي الخطار لأنه عزله عن ولاية أشبيلية، ونشبت بين

(١٤٠) مجهول: أخبار مجموعة، ص٥٦ ؛ ابن القوطية: تاريخ إفتتاح الأندلس، ص٦٤؛ المقرى: نفح الطيب، ج١، ص ٢٣٧؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٢٧.

الفريقين معارك شديدة في شذونة على ضفاف وادي لكة في رجب سنة(١٢٧هـ/٧٤٤م) وانتهت بهزيمة أبي الخطار وأسره [١٤١].

وتولى ثوابة الجذامي أمر ولاية الأندلس سنة (١٢٨هـ/٧٢٦م) واستمرت ولايته سنة واحدة، وفي أثناء حكمه لم تقْع أعمال حربية ذات قيمة سوى محاولة الحسام بن ضرار الكلبي من أجل العودة للحكم ولكنها باءت بالفشل، وبعد هذه الأحداث لم تدْمِ ولاية ثوابة كثيراً فقد ماتَ بعد عام واحد (١٢٩هـ/٧٤٦م)، وبعد ذلك عمت الفوضى بلادَ الأندلسِ بسببِ النزاع على الولاية، وأصبحت بلادُ الأندلس بلا والٍ لمدة أربعة أشهرٍ فاتفقت الجماعة في الأندلس على تعيين عبد الرحمن بن كثير اللخمي (١٢٩هـ/٧٤٦م) ليدير الأمور في الأندلس بصورة مؤقتة إلى أن يتم الاتفاق على تعيين والٍ يدير أحوالها، ولما اشتدت الأمور اتفق الطرفان أن يكون أمر الأندلس مداولة بين اليمنية والقيسية، بحيث تكون الولاية سنة لكل منهما واتفقوا على تولية يوسف بن عبد الرحمن الفهري القيسي (١٢٩-١٣٨هـ/٧٤٦-٧٥٥م) [١٤٢].

ولقد أثرت هذه المعركة في تاريخ البلاد الاجتماعي، حيث أخرجت هذه المعركة اليمنيين والبلديين من ميدان السياسة ومن القيادة، ومن ذلك الحين أخذ معظمهم يتفرقون في نواحي البلاد، ويشتغلون بالزراعة والتجارة وغيرها من أمور المعاش وشئون النشاط السلمي،

(١٤١) مجهول: أخبار مجموعة، ص٥٦ ؛ ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٣٣٨؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٣٤؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٢٠.

(١٤٢) مجهول: أخبار مجموعة، ص٥٦ ؛ ابن القوطية: تاريخ إفتتاح الأندلس، ص٦٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٣٣٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٢٧.

ومن هنا تظهر أهمية هذه الموقعة في تاريخ البلاد الاجتماعي، ولم يستطع من بقي منهم في الميدان النهوض من جديدٍ إلا حينما أقبل عبد الرحمن الداخل [١٤٣].

يوسفُ الفهري آخرُ ولاةِ الأندلسِ (١٢٩-١٣٨هـ/٧٤٦-٧٥٥م)

بعد اتفاق اليمنيةِ والقيسيةِ على تولية يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة الفهري، استقرتْ الأمورُ في الأندلسِ وسكنت البلادُ واتفقت عليه القلوب[١٤٤]، وبهذا تخلصت الأندلس من الفراغ السياسي الذي عانت منه، وانقضي العامُ الأول الذي تولي فيه يوسف الفهري الولاية، وجاءَ اليمنيون لموعدهم حسب الاتفاق المبرم بينهم والذي يقضي بتولية يوسف الفهري الأمر سنة ثم يرد الأمر إلى اليمنية فيولون من أحبوا من قومهم، فلما انقضت السنة أقبل أهل اليمن بأسرهم يريدون أن يولوا رجلا منهم[١٤٥]، ولكن المضرية

(١٤٣) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص٢٨٤.
(١٤٤) مجهول: أخبار مجموعة، ص٨١، الحميدى: جذوة المقتبس، ص٣٧.
(١٤٥) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص، ٣٥؛ ابن خلدون:تاريخه، ج٤، ص١٢٠؛ نفح الطيب: ج١، ص ٢٣٨.

وعلي رأسهم الصميل بن حاتم مرجع الزعامة والأمر يومئذٍ رفض تمكين اليمنية من الرئاسة بأي صورة من الصور، وكذلك يوسف الفهري لم يفكر بعد أن ظفر بالولاية أن يتنازل عنها طائعًا مختاراً، بل بادر منذ البداية إلى استخلاص جميع السلطات لنفسه(١٤٦).

ولهذا ازدادت أعداد الحاقدين والكارهين ليوسف الفهري وصاحبه الصميل بن حاتم(١٤٧) مما أدي إلى الاستعداد للقتال(١٤٨)، والتقي الطرفانِ القيسية واليمنية بالقرب من مدينة شقندة(١٤٩) بجوار الوادي الكبير سنة (١٣٠ هـ/٧٤٧م) استعان فيها الصميل بن حاتم بأهالي السوق بقرطبة، وبعد مشاركة هذا الجيش في المعركة حسمت لصالح الصميل ويوسف الفهري، ووقع أبو الخطار أسيراً في أيديهما ودلَّ على محرضه يحيى بن حريث(١٥٠)، وقتلا جميعاً وكانت أعداد القتلى من اليمنية كبيرة، وقد أُسر منهم خلق كثير، لذلك سميت هذه المعركة بقاطعة الأرحام(١٥١).

(١٤٦) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٣١.

(١٤٧)عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، ط ٢ ؛ دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٩م، ص ٥٩.

(١٤٨) ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص١٥٤؛ المقرى: نفح الطيب، ج١، ص ٢٣٨.

(١٤٩) مدينة شقندة: شُقُندَة بضم الشين والقاف وسكون النون وبالدال المهملة، وتضبط بفتح الشين، و شُقُندَة وتقع على الضفة اليسري لنهر الوادي الكبير أي بالربض الجنوبي لمدينة قرطبة. ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤٤؛ بن حيان: المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن على الحجي، دار الثقافة، د. ت)، بيروت ١٩٨٣م، ص٢٠٩ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٩.

(١٥٠) يحيي بن حريث: أحد الزعماء اليمنية، وكان ينافس ويعارض إمارة يوسف الفهرى، فأقطعه يوسف الفهري ريه ثمناً لموافقته؛ فلما نزعت منه ريه ثار قومه من اليمنية والتفوا حوله؛ وخروج ابن حريث، تحرك للعمل مع أبو الخطار، وفاوضه ابن حريث ولكنهما لم يتفقا، إذ أصر كل منهما على ترشيح نفسه للإمارة، و اجتمعا على قتال يوسف، وحشد كل منهما جموعه من الفريق الذي يؤازره، وزحفا على قرطبة، وحشد يوسف والصميل جموع المضرية، والتقيا أخيرا في شقندة بالقرب من قرطبة سنة (١٣٠هـ / ٧٤٧م) ونشبت بينهما موقعة هائلة تبالغ في روعتها الرواية الأندلسية، إذ تقول: " إنه لم يكن بالمشرق ولا بالمغرب، حرب أصدق منها جلاداً ولا أصبر رجالا ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٣١.

(١٥١) مجهول: أخبار مجموعة، ص٨٢ ؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٣٦، ٣٧.

وبذلك أصبحت الأندلس تحت سيطرةِ ونفوذِ يوسف الفهري والصميل بن حاتم الذي قتل قرابة السبعين أسير من اليمنيين على باب جامع قرطبة [١٥٢]، وتروي بعض الروايات أن يوسف الفهري أصبح قلقاً لوصاية الصميل عليه، ولهذا رأي أن يبعده عنه ويوليه على سرقسطة سنة (١٣٢ هـ/ ٧٤٩ م) التي تعتبر معقلاً لليمنية [١٥٣]، فتوقع يوسف الفهري أن يشتبك الصميل مع اليمنية فيكون بذلك تخلص من تدخلاته [١٥٤].

وقامت ضد يوسف الفهري ثورات عديدة، كان أغلبها ثورات يمنية ومن أبرزها التي قام بها عبد الرحمن بن علقمة اللخمي في أربونة وحاربه يوسف الفهري وانتصر عليه [١٥٥] وثار عليه ثائر آخر في مدينة باجة [١٥٦] التي نزلها جند مصر، وقد تزعم هذه الثورة شخص يدعي عروة بن الوليد [١٥٧] عرف بالذمي لأنه استعان بأهل الذمة ضده، استطاع يوسف الفهري قتله في النهاية [١٥٨].

الثورةُ في سرقسطة ورهائن قريش:

(١٥٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٣٧.
(١٥٣) أخبار مجموعة: ص ٨٣ ؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٣٧.
(١٥٤) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٣٢.
(١٥٥) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٣٧٦ ؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٣٨.
(١٥٦) مدينة باجة: هي من أقدم مدائن الأندلس بنيت في أيام الأقاصرة، وبينها وبين قرطبة مائة فرسخ، وهي من الكور المجندة نزلها جند مصر، وتفسير باجة في كلام العجم: الصلح. الحميرى: الروض المعطار، ص ٧٥.
(١٥٧) لمزيد من التفاصيل عن هذه الثورة أنظر: ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٣٧٦ ؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٣٨ ؛ المقرى: نفح الطيب، ج٣، ص ٢٦؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس ص٥١٧ ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٣٥.
(١٥٨) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٣٨.

أتت المعارضة ليوسف الفهري من قبلِ زعماء قريش الذين تحركوا مستغلين ابتعاد الصميل عن قرطبة، وكان على رأسهم فتي من عبد الدار يقال له عامر بن أبي عدي العبدري، وعامر هذا أحد رجالات قريش بالأندلس، وكان ذا شرفٍ ونجدةٍ، وكان أيضاً سخياً لبيباً عاقلاً أديباً حذراً، واشتهر بقيادته للعديد من الصوائف ضد نصارى الشمال قبل ولاية يوسف الفهري، وعندما اعتلي يوسف الفهري ولاية الأندلس قام بعزله وذلك حسدًا لمكانته، ثم أخذ يكيد له خوفًا منه، وعندما أحس عامر بما يدبره له يوسف أرسل إلى الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور يسأله أن يوليه الأندلس ويرسل له عهدًا بذلك(١٥٩)، وساءه ما صنع يوسف باليمنيين وما سفك من الدماء، وبدأ عامر يستعد لمواجهة يوسف الفهري وابتني حصناً في منية له كان يقال لها قناة عامر بغربي قرطبة وهم أن يجعلها مدينة، وأراد أن يبني بنياناً ينضم إليه حتى يأتيه إمداد اليمنية(١٦٠).

ونلاحظ بذلك أن عامر كان صاحب مخطط دقيق وله أهدافٌ واضحةٌ وشجعته العديد من العوامل على الثورةِ ومنها ضعف سلطان يوسف الفهري الذي حاول القبض على عامر فوجده حذراً قد أعلم بما يراد به، ويذكر صاحب الأخبار المجموعة أن عامر كان لا يخفي عليه شيء من سير يوسف، وذلك لأن عامر القائد العسكري كان يدس الجواسيس على يوسف الفهري، ولم يشأ يوسف أن يقبض على عامر حتى يحضره الصميل، فكتب إلى

(١٥٩) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٤ ؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤٨ ؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج ٢، ص ٣٤٤ ـ ٣٥٤.

(١٦٠) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٤ ؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج ٢، ص ٣٥٤.

الصميل يعلمه من أمر عامر فأجابه يشجعه على قتله، فعلم عامر بأمر الرسالةِ فخرج هارباً من قرطبة إلى سرقسطة حيث الصميل (١٦١).

اختار عامرُ مدينة سرقسطة بالخصوص لكثرةٍ اليمنية فيها، وكان عامر يريد المساعدة من اليمنيين المعارضين ليوسف والصميل، وخصوصاً وأن أهل الكور الأجناد أصابهم الضعف من بعد وقعة شقندة(١٦٢)، وكتب عامر إلى زعيم من زعماء اليمنية بسرقسطة يسمي "الحباب بن رواحة الزهري "وذلك في رواية ابن خلدون والمقري وابن الآبار(١٦٣)، أما ابن عذاري وابن كثير فيسمونه تميم بن معبد(١٦٤)، أما المؤلف المجهول فينسبه إلى بني زهرة قائلاً "وكان بسرقسطة رجل من بني زهرة من كلاب قد شرف فكتب إليه عامر فأجابه فسار عامر وابنه وهب حتى وردا بعض نواحي سرقسطة فاجتمع هو والزهري، فدعوا الناس إلى سجل أبي جعفر المنصور(١٦٥)، ولنقف قليلا عند هذا الحدث:

تتفق المصادر التاريخية أن عامر بن أبي عدي أرسل إلى الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، يسأله أن يوليه الأندلس ويرسل له عهدًا بذلك (١٦٦)، وتقف المصادر عند ذلك ولم تذكر تفاصيل أخرى ولم تذكر إرسال أبو جعفر المنصور بسجل لعامر بن عدي بولاية الأندلس من عدمه.

(١٦١) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٤ ؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٢.
(١٦٢) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٤.
(١٦٣) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج ٢، ص ٣٥٤ ؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٥٤؛ المقري: نفح الطيب، ج ٣، ص ٢٦.
(١٦٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٢؛ ابن كثير: البداية النهاية، ج٥، ص ١٢٢.
(١٦٥) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٤.
(١٦٦) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٤ ؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤ ؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج ٢، ص ٣٤٤ - ٣٥٤.

ونجد في رواية المؤلف المجهول أن عامر والزهري دعوا الناس إلى سجل المنصور[١٦٧] فمن المرجح أنهم أوهما الناس بوصول سجل أبو جعفر المنصور وذلك لكي يكسبا الشرعية ويؤيدهم أهل سرقسطة ومن ثم أهل الأندلس في مواجهة يوسف الفهري الذي وصل لولاية الأندلس سنة (١٢٩ هـ/ ٧٤٧ م)، دون موافقة، أو مصادقة من قبل الخليفة الأموي، مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ/ ٧٤٥-٧٥٠م(وذلك بسبب انشغاله بمجابهة العباسيين طوال سنوات حكمه[١٦٨]، وكذلك بعد الأندلس عن مركز الخلافة الأموية في دمشق، وعامر بذلك قد أوهم الناس ولم ينل سجلاً بولاية الأندلس لبعض الأسباب وهى:

- أن عامر بن أبي عدي لو نال سجلاً بولاية الأندلس لذكر ذلك في المصادر التاريخية.

- انشغالُ الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور بتثبيت أركان الدولة وقتله أبو مسلم الخرساني [١٦٩] سنة (١٣٧هـ/٧٦٣م) وقضاؤه على المعارضين للدولة العباسية، ومن ذلك لم يكن للعباسيين القدرة على متابعة الحكم في الأندلس لرغبتهم في تثبيت سلطانهم في بغداد [١٧٠].

وعلي أية حال نجد أن كذبة عامر قد انبرت على اليمنيين وبعض من البربر وغيرهم " ليس لأنه يستند إلى الشرعية ولكن لعدائهم مع يوسف الفهري والصميل بن حاتم والقيسية عموماً، فبلغ الصميل شأنهم فبعث إليهم خيلاً ورجالاً من أهل الطاعة فهزموهم، واجتمع

(١٦٧) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٤.

(١٦٨) لمزيد من التفاصيل أنظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٤٠٢؛ الطبري: تاريخ الأمم، ج ٤، ص ٣٤٨- ٣٥٥؛ ابن خلدون، تاريخه، ج ٤، ص ١٥٤؛ الحميدي: جذوة المقتبس، ج١، ص ٣٧ ؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٧.

(١٦٩) أبو مسلم الخرسانى: هو عبد الرحمن بن مسلم، صاحب دعوة بني العباس، وكان صاحب رأي وتدبير وحزم، قتله أبو جعفر المنصور بعد إستمالته له وغدر به. لمزيد من التفاصيل أنظر: ابن كثير، ج١٠، ص ٤٤٧٤؛ ابن الوردى: تاريخ ابن الوردى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦م، ج١، ص ١٧٩-١٩٩.

(١٧٠) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤.

لهم حشدٌ من الناس فحاصروا الصميل حصارًا شديدًا في مدينة سرقسطة لمدة سبعة أشهر، حتى يئس من الحياة وهم بإلقاء ما بيده[١٧١]، وخلال هذه الفترة طلب الصميل المساعدة من يوسف الفهري في قرطبة فكتب إلى يوسف يسأله إمداده فلم يجد في الناس مناهضا، وذلك في سنة (١٣٣هـ/٧٥٠م)، وذلك بسبب الظروف القاسية التي خلفتها المجاعة جعلت من الصعب على يوسف تجميع أية قوي بشرية وإرسالها إلى سرقسطة أو الرغبة في القضاء على الصميل والتخلص منه[١٧٢].

ولكن استجاب له قومه في مدينتي البيرة وجيان وساروا على نصرته وتفريج كربته وبلغ عدد فرسان القبائل القيسية المتوجهة لسرقسطة أربعمائة فارس منهم ثلاثون فارساً من موالي بني أمية وذلك في عام (١٣٧هـ/٧٥٤م)، وكان هدف موالي بني أمية من مساعدة الصميل ضمان وقوفه إلى جانبهم مع عبد الرحمن بن معاوية، ولما أشرفت الحملة على مدينة طليطلة، كانت اليمنية قد تمكنت من تشديد الحصار على الصميل بن حاتم ومن معه، فساءت أحوال المحاصرين[١٧٣]، وأقبلت رسلهم إلى طليطلة تستحث القيسيين ومن معهم على سرعةِ السير، فعجلوا بإرسالِ فارس منهم برسالة إلى الصميل تؤكد له إسراعهم إليه بالعون وقالوا له: ادخل في جملة المحاربين للسور فإذا قربت منه، ارمِ بهذه الحجارة وفيها بيتان من الشعر وهما

تبشرْ بالسلامة يا جدار أتاك الغوثُ وأنقطع الحصارُ

(١٧١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٤٢، ٤٣.
(١٧٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٣٧ ؛ ابن خلدون، تاريخه، ج ٤، ص ١٥٤.
(١٧٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٤٢، ٤٣.

أتتك بنات أعوج ملجمات عليها الأكرمون وهم نزارُ(١٧٤)

وعندما سقطت هذه الحجارة، قرئت عليه لأنه أمي، فلما سمع ما فيها قال "ابشروا يا قوم فقد جاءكم الغوث ورب الكعبة" وتسامع اليمنيون المحاصرون للصميل فخافوا الهزيمة، فتفرقوا، وبالتالي تمكن الصميل من الانتصار على هؤلاء المحاصِرين المتمردين دون قتال(١٧٥).

وكان يوسف الفهري مهتماً بالقضاءِ على التمرد المستمر في سرقسطة ولهذا فما أن رجع الصميل إلى قرطبة، حتى استعد يوسف لإرسال حملة على المتمردين، ففي سنة (٣٧هـ/٧٥٤م) سار يوسف بنفسه إلى سرقسطة، وكان المتمردون قد وافقوا على تسليم زعمائهم وهم :عامر العبدري وابنه وهب والزهري(١٧٦)، فأمر يوسف بتقييدهم وكان يعتزم قتلهم، لولا معارضة القيسيين وكان أشدهم قولاً في ذلك سليمان بن شهاب، والحصين بن الدجن(١٧٧) وهما من أهل قريش ومن كانوا أكثر المتشددين في معارضة قتل الزعماء القرشيين الثلاثة، فنتيجة لمعارضة هؤلاء الزعماء احتجز يوسف الفهري الثوار الثلاث رهائن عند الصميل(١٧٨) حتى يتم له التخلص من هؤلاء المعارضين.

(١٧٤) مجهول: أخبار مجموعة، ص٨٦، ٨٧ ؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٣.
(١٧٥) ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٣.
(١٧٦) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٠ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج ٢، ص٣٥٤، ٣٥٥.
(١٧٧) الحصين بن الدجن: الحصين بن الدجن بن عبد الله بن محمد بن عمرو بن يحيي بن عامر، كان ممن استجاب لداعية عبد الرحمن بن معاوية الداخل إلى الأندلس، وهو ممن أشار على يوسف بن عبد الرحمن الفهري باستبقاء = = عامر العبدري وابنه وهب والحباب الزّهري بعد قبضه عليهم، فكف عن قتلهم حينئذ وشد أصفادهم؛ وأغزي طائفة من عسكره إلى البشكنس في ضعف وقلة، وبعث على خيلهم الحصين هذا، فهزمهم الروم وقتلوا أميرهم سليمان ابن شهاب، ونجا الحصين؛ وحضر يوم المصارة مع عبد الرحمن، فلما استوثق الأمر لعبد الرحمن بن معاوية، عرف له صالح بلائه، فاختصه وولاه الشرطة. ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢، ص ٣٥٤، ٣٥٥.
(١٧٨) ابن القوطية: تاريخ إفتتاح الأندلس، ص ٥١ ؛ ابن عذارى:البيان المغرب، ج ٢، ص٣.

وكان مقتل الرهائن القرشيين مرهون بمقتل زعماء قريش، وأصبح يوسف والصميل منتظرين الفرصة المواتية، وهؤلاء الرهائن المحتجزون عند الصميل كانوا يتلقون معاملة طيبةً وذلك لخوف يوسف الفهري والصميل من سطوةِ وقوةِ القرشيين مناصريهم، وأتته الفرصة عندما نشبت ثورة في منطقة جليقية في شمال الأندلس فقام بإرسال سليمان بن شهاب والحصين بن الدجن وغيرهما من الزعماء القرشيين على رأس الحملة(١٧٩)، وأراد يوسف والصميل العودة إلى مدينة قرطبة، فجاءهما الخبر بمقتل أكثرية الجيش الذي توجه لجليقية، وقتل معظم قادته من القرشيين(١٨٠)، وهنا أمر يوسف الفهري بعد إلحاح الصميل بضرب أعناق الرهائن سنة(١٣٨هـ/٧٥٥م)، وذلك بعد مقتل زعماء قريش الذين كانوا يوفرون لهؤلاء الرهائن الحماية في الحملة التي توجهت لمدينة جليقية(١٨١)، وبذلك تخلص يوسف الفهري من زعماءِ قريش والرهائن المحتجزين بحسن تدبير الصميل بن حاتم، وقضي الصميلُ ويوسف على تمرد سرقسطة وتخلصا من بعض الزعماء المنافسين لهم.

ولقد ترتبت على مقتل هؤلاء الرهائن نتائج خطيرة على جميع المستويات، حيث أصبح الناس كارهين ليوسف الفهري والصميل ويظهر ذلك جلياً من قولهم "قد قتلت ابن شهاب، وقتلت عامرًا والزهري، هي والله لك ولولدك"(١٨٢)، ونقم الناس عليهما ولم يبق معه سوى القليل من القيسية والفهرية(١٨٣)، وفي تلك الأثناء وصلت ليوسف أنباء نزول عبد

(١٧٩) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٠ ؛ ابن القوطية: تاريخ إفتتاح الأندلس، ص ٥١ ؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٤٤ ؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص١٢١؛ المقرى: نفح الطيب، ج١، ص ٣٢٨.
(١٨٠) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٤٤.
(١٨١) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٠.
(١٨٢) مجهول: أخبار مجموعة، ص٩٠.
(١٨٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٤٤ ؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٢١؛ المقرى: ج١، ص ٣٢٨.

الرحمن بساحل البيرة عند أبي عثمان(١٨٤) وكبار موالي بني أمية (١٨٥)، معلما إياه بالتفاف عددٍ كبيرٍ من موالي بني أمية وأتباعهم حول هذا الأمير الداخل(١٨٦)، وانتهى عصر الولاة على يد الأمير عبد الرحمن بن معاوية، بإقامته الدولة الأموية في الأندلس وذلك بعد أن هزم يوسف الفهري (ت١٤٢هـ / ٧٥٩م) والصميل بن حاتم (ت١٤٢هـ/٧٥٩م)(١٨٧) وأتباعهم في موقعة

المسارة (١٨٨) في ظاهر قرطبة من الغرب، على ضفة نهر الوادي الكبير (في العاشر من ذي الحجة سنة١٣٨هـ/ الثالث عشر من مايو سنة ٧٥٦م) (١٨٩).

(١٨٤) أبو عثمان عبيد بن عثمان: هو أول من تولي منصب الوزارة للأمير عبد الرحمن الداخل ثم جمع له منصبي الوزارة والكتابة لمكانته ونصرته ونجدته، فهو أحد زعماء الموالي الأموية الذين ناصروا عبد الرحمن الداخل وهيأوا له سلطانه في الأندلس قبل وبعد عبوره إليها. النويرى: نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٥٢؛ المقرى: نفح الطيب، ج٣، ص ٤٤، ٤٤٥؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٦٦٦.

(١٨٥) المقري: نفح الطيب، ج ٣، ص ٣٢.

(١٨٦) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٠؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٤٤.

(١٨٧) ابن القوطية: تاريخ إفتتاح الأندلس، ص ٥١ ؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٢١.

(١٨٨) عرفت هذه الموقعة الحاسمة بإسم المصارة (بالصاد أو السين) كما عرفت كذلك في المراجع الإسبانية بإسم الأميدا (Alameda) ذلك في سنة (١٣٨ هـ/ ٧٥٦م) وتمتد مصارة قرطبة التي حدثت عندها الواقعة في جنوب غرب المدينة على الضفة اليمني من نهر الوادي الكبير وكلمة المصارة لا يعرف معناها أو أصلها وقد أطلقت على عدة أماكن في المغرب والأندلس ولا سيما في الفضاء الفسيح المجاور للمدن مثل قرطبة وغرناطة وفاس وعادة ما كانت تقام في هذه الأماكن ألعاب الفروسية وعرض الجيوش، كما تقام فيها أيضا الصلوات العامة كصلاة العيدين أو صلاة الإستسقاء ولهذا إختلط الأمر بين المصارة والمصلي وخصوصا وأنهما في مكان واحد ومن الطريف أن هذا اللفظ إنتقل إلى اللغة الإسبانية بهذا الإسم (Almuzana) المثارة ولا زالت إلى اليوم عدة أماكن في شمال إسبانيا بهذا الإسم وأغلبها أراض زراعية فسيحة، وهذا ما دعا بعض المستشرقين إلى إعتبار كلمة المزارع والزراعة أصلا لكلمة المصارة أما التسمية الثانية لهذه الموقعة هي الأميدا (Alameda) فقد وردت في الكتب الإسبانية فقط ويبدو أن وجود أل في هذه الكلمة جعل بعض الكتاب يظن أن أصلها عربى، ومما لا شك فيه أن أصلها لاتيني (Alame) أي شجر الصفصاف أو الحور وهو شجر طويل عريض الأوراق والمكان الذي يكثر فيه هذا الشجر يسمي الأميدا(Alameda)، وهذا الإسم منتشر في إسبانيا وخاصة بنواحي ليون وسرقسطة وبرغش وأسترقة. ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، هامش ص ٥٦- ٥٧؛ ليوبولدو تورس بالباس: المدن الأسبانية الإسلامية، ترجمة إليودورو دي لابنيا، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض٢٠٠٣، ص ١٩١.

(١٨٩) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٥٤.